تانجـــــو



مجموعة قصصية

هبة صقر

الكتـــــــاب	تانجـــــو
النـــوعيـــــة	مجموعة قصصية
اسم المؤلـف	هبة صقر
تصميم الغلاف	عبد الرحمن كمال
تنسيق داخلي	هبـــة خليـــل
مراجعة لغوية	أ. عبد الواحد الحسيني
الطبعة الأولى	يناير ٢٠١٩
رقـــم الإيــداع	٢٠١٨/٢٥١٤٦
الترقيم الدولي	٩٧٨-٩٧٧-٦٥٣٤-٦١-٢
إشراف عام	رباب الشهاوي
مديرة النشر	هند عبد الله (نور مانجا)
لطلب الكتاب	٠١١٢٦٦٥٢٢٧٨ - ٠١٠٢٢٨٩٧٦٤٩

ويمكن طلبه عن طريق موقع جوميا من Elfoad Publishing Marketplace

Alfouad_publishing@hotmail.com
facebook.com/fouadpublishing

تانجـــــو

مجموعة قصصية

هبة صقر

الإهداء

إلى سائق التاكسي...
أيما كنت.. وأينما كنت....أشكرك... فقد أرضيت غرور اختلافي أمام القدر .

وإلى القدر...والرفقة... وكل من ساندوني...

ممتنةٌ.... وبشدةٍ .

وإلى عمر.. ومالك

أحبكما...وأهديكما نفسي.

وأخيرًا.. إلى بيبا..

فخورةٌ... وللأبد .

فن الحياة

لأنه يجيد فن الحياة.. أومأت برأسي وأنا أردد الكلمات بداخلي مرة أخرى.......نعم أحبه لأنه يجيد فن الحياة. ابتسمت وأنا أتذكر لقائي الأول به..يومها كانت مازالت آلام طلاقي تقتلني في صمتٍ....كنت أحمل جراحي وكأنني أحمل همًّا أبديًّا لا سبيل للفكاك منه...يومها رأيته...استقللتُ سيارته الأجرة مثل أي شخصٍ...فاجأني بعاصفةٍ من الرقة والاحتواء وكأنه يلبي نداء ات جراحي التي تئِنُّ بلا انقطاع.

يومها ابتسم وقال لي في اللحظة نفسها التي أخبرتُه فيها عن وِجهتي: تمنيتُ منذ زمنٍ أن أُقِلَّكِ إلى أي مكانٍ...وكأنه صعقني....تأملتُ وجهه المبتسم في مرآة السيارة وسألتُه في توجسٍ:...معذرةً.؟!

أجابني وهو يتنهد في صدقٍ:...أراكِ يوميًّا في الموعد نفسه وأنتِ ذاهبةٌ إلى عملكِ...ضحك وهو يقول وكأنه يعرفني منذ زمنٍ : أمُرُّ بهذا الطريق يوميًّا في الموعد نفسه كي أكون أول من يعبر أمامكِ لتوصيلكِ لكنها المرة الأولى التي أنجح فيها.

نظرت إليه وأنا أحاول استيعاب ما يقول وسألتُه غير مصدقةٍ:منذ متى؟!

ابتسم وهو يقول في خجلٍ: فترةٍ لا بأس بها .

ثم أعقب قائلًا:....ورأيتكِ أمسِ في وسط المدينة.

ازدادت دهشتي وسألته محتدَّةً:...أتراقبني؟!

أجابني في سرعةٍ وعفويةٍ وبالابتسامة المذهلة نفسها......لا......إنها حقًّا مصادفة.. ثم أعقب بصدقٍ: ليس من السهل أن تجدي أناسًا يتركون هذا الأثر بداخلك لمجرد رؤيتهم .

تنهدتُ متعجبةً: وازددتُ عجزًا على عجزٍ.....ليس وقحًا..بل هو صادق المشاعر لدرجةٍ تذهلني....وفي توقيتٍ قاتلٍ.

تأملتُ في هدوءٍ ذلك الشاب الأربعيني الوسيم باسم الوجه....ابتسم ابتسامته الساحرة مرةً أخرى فابتسمتُ دون أن أشعر... لم يكن من السهل بعد كل هذه الرقة مقاومته......وحقًّا لم أحاول المقاومة لأنني كنت بحاجةٍ ماسَّةٍ إليه....ولستُ في حاجةٍ لأقول.......إنه فعلًا نجح فيما فشلت فيه......نجح في أن يجعلني أحيا....أحيا من جديدٍ.

تذكرت عرضه أمسِ بالزواج........تذكرت كيف احتوى كفي وهو يخبرني بصدقٍ....كيف أنه تكفيه ابتسامتي حينما أراه لتجعله يشعر أنه ملكٌ لهذا العالم.......يكفيه انتمائي له ليجعله أسعد رجال الأرض....وأن وجوده بجانبي ليسعدني هو أقصى ما يحلم به.

أي امرأةٍ في العالم تستطيع مقاومة هذا الرجل.؟!...كيف لي أنا الإنسانة شبه المحطمة - والتي أحياها هو تقريبا من جديدٍ - كيف لي أن أقاومه.....كيف لي ألا أذوب فيه.

معه تعلمتُ كيف أعيشُ كل لحظات حياتي بفرحٍ.....بصدقٍ....كلما ضاقت بي الدنيا......أَتُوهُ.....فأجده بجانبي.. يحتويني... يمتصني... يرشدني.. يعيد تشكيل كل صدمات حياتي فتندمل جراحي وكأنها لم تكن.. منحني من خبرته الحياتية الكثير من القوة..منحني بحبه الكثيرمن التسامح......أتذكر كيف كانت سيارته ملاذي وملجأي حينما

تضيق بي الدنيا... كيف كان يدور بي أنحاء المدينة كافَّة.. أنا وحدي.. حتى تنتهي دموعي ولا يتركني إلا وابتسامتي ملء وجهي.

صوت من بعيدٍ يهمس في أذني: وماذاعن مكانتكِ الاجتماعية ، عائلتكِ ، أصدقائكِ؟ كيف لكِ بالارتباط بسائق تاكسي؟

أعود لأجيب نفسي بثقةٍ فأُخْرِسُ كل الأصوات: وماذا فعل لي صاحب المكانة الاجتماعية؟!

لم يفعل سوى أن يتعسني... ولكن سائق التاكسي علمني كيف أتنشق عبيرالحرية...والحياة.

ينتظر ردي غدًا.....وأنا ...

قررتُ..........أن أعيش.

ما زلتُ أنتظركَ...

وها قد عدتُ أكتب إليكَ من جديدٍ...ولكنها رسالتي الأخيرة.... أفكر كيف أبدأ..أم أطلق لقلبي ومشاعري العَنان،أو أترك أوراقي لترتوي بدموع حنيني إليكَ؟!

هل تكفي كلمة افتقدتكَ؟ أم أقول افتقدت أكثر نفسي معكَ؟!.....هل أقول أحبكَ؟....أم أنكَ تعلمُ أنني أذوب حتى في حروف اسمكَ؟... تعلم؟.....لماذا تتركني وحيدةً إذن؟....لماذا تتركني أكتوي وحدي بجراحي الغائرة؟..لماذا تتركني لدنيا قاسيةٍ؛ ما عدت أقوى على مجابهة أعاصيرها وحدي....ماذا أقول ؟!

هل يكفيكَ أن تعرف أن كل خلجاتي تتوق إليكَ؟...أن أذني تتوق لسماع اسمي من بين شفتيكَ...أن روحي تهفو إلى احتوائكَ لها...أن ظهري العاري دومًا من السند يذوب تَوْقًا لكفكَ تُرَبّتُ عليه...وأن كتفيَ اللذينِ يئِنانِ بما يحملانِ همًّا بعد همٍّ تتوقانِ لضمةٍ جارفةٍ أتكورُ بها داخلَ صدركَ الحاني..أتذكر؟!!.....كعصفورٍ صغيرٍ.

أحبكَ.... نعم أحبكَ....أحب فيكَ كل شيءٍ لم تمنحه لي الحياة....أحب نُبْلَكَ.....أحب شرفكَ.....أحب رجولتكَ......أعشق رقي أخلاقكَ ونقاء روحكَ.....كبرياءَكَ.....مازلتُ أنتظر حبكَ......مازلتُ أنتظر هدهدتكَ لي كصغيرةٍ بين يديكَ........مازلتُ أنتظر لمسة كفكَ الحانية......مازلتُ أنتظركَ لتضمني....لتجتاحني...لتسلبني حتى من نفسي.....مازلتُ أنتظر رسائل هواكَ لتذيبني....مازلتُ أنتظر نظراتكَ العاشقة المزهوة لتسحق طياتِ روحي....مازلتُ أنتظركَ لأطير.....مازلتُ أنتظركَ لأنهل من نبع أشواقي إليكَ...مازلتُ أنتظركَ لتشفي روحي العليلة...لتضمد انكساراتي.......وتخمد أَنَّاتي...مازلتُ أنتظركَ لأذوب بين شفتيكَ...مازلتُ أنتظر كيانكَ ليغمرني فأَتُوهُ في عالمكَ...... وأسكن في عينيكَ .

أنتظركَ كل ليلةٍ..كل ساعةٍ...كل لحظةٍ في عمري...لأولد من جديدٍ.....لأعود معكَ أنا التي أعرفها...أنتظركَ لتشعرني مَنْ حقًّا هي أنا...أنتظركَ لتحملني بعيدًا عن كل ما أحيا من زيفٍ ونفاقٍ أزهق روحي.....أحاول أن أحيا....أن أتنفس بقايا نقاء أتخيله.....فأعجز...أنهار...أسقط...أحاول الوقوف من جديدٍ.... أمني نفسي بكَ....أنتظركَ لأنني لا أتخيل أنه من الممكن أن أنتهي بدون أن أدرك وجودكَ في حياتي....لا أتخيل أن هذه هي عدالة السماء...أحبكَ

بجنونٍ....جنونٍ يحركني لأبحث عنكَ في عيون كل البشر....لأقول لكَ إن الانتظار يذبحني....وإنني في حياتي لم أرجُ من رب العالمين شيئًا سواكَ...وأعلم أن الله لن يخذلني...كل ما حولي لا يعنيني.....فقط أنت تعنيني...لا يعنيني سوى أن أحيا معك كل ما تبقى لي من عمرٍ... .لن أقول ساعةً.... لن أقول يومًا..أي ساعات.. وأي أيام تكفيني لأنهل منكَ عَبَقَ الحياة التي منها حُرِمْتُ..

أريد أن أتنفس معكَ....أنام على صدركَ..وأصحو بين ذراعيكَ...أُجَنُّ معكَ..أطير معكَ...أضحك معكَ.. وأبكي في أحضانكَ...أجري كالأطفال...وأرقص كالغانيات..لكَ أنتَ......فقط لكَ...فقط لعينيكَ...ونظراتكَ...لهمساتكَ ولمساتكَ... لقبلاتكَ...أدخر كل شيءٍ لكَ أنت فقط....من أجلكَ نزعت روحي من بين ضلوعي..وظللتُ أحيا جسدًا بلا روحٍ.....لا مكان لروحي إلا بين طياتِ روحكَ....لا مكان لقلبي إلا بين ضلوعكَ.

مازال قلبي يئن....مازال بداخله ذاك الركن الدافئ الذي ينتظركَ.........ولا أحد سواكَ......أعلم أنكَ ستعود لتمنحني قبلة الحياة.........،وأنكَ لن تتركني وحدي...ليس هذا عهدي بك..حبيبي لن يخذلني...ماذا عساي أقول؟!

أنا أموت....أموت بدونكَ... فكيف تتركني لتمزقني الحياة...أحتاج اليكَ...إنها رسالتي الأخيرة... أخشى إن تركتني أكثر...لن تجدني أنا.. ستجدني شخصًا آخر لاتعرفه...........شخصًا ذبحه الخذلان فأصبح أنقاضًا..وتهشمت روحه...... لتضيع معالمه..... فأرجوكَ....... ألا تغيب أكثر......لم أعُدْ أقوى على الحياة بدونكَ.

حبيبةٌ...تذوب عشقًا فيكَ حبيبي الذي سلبني كياني وأحلامي ..وقدرتي على أن أسير في دروب البشر...فأكتفي بالحياة...
لأن الحياة بدونكَ ليست حياةً..............
وبعد كل هذا أتراها تكفي كلمة أحبكَ؟!.........
انتهت رسالتي الأخيرة إليكَ...وانتهى معها مخزوني من الحلم.
طويتها.....وأدخلتها في زجاجةٍ محفورٍ عليها حروف اسمكَ...
وتركتها لتشق طريقها عبر البحار...
وأثق تمامًا أنها لن تضل طريقها إليكَ هذه المرة........................
......أحبكَ.....

فريدة

تحررتُ من كل شيءٍ....ارتديتُ حذاءً رياضيًّا خفيفًا...وملابس رياضيةً مريحةً...تركتُ شعري ثائرًا حول كتفيَّ...نظرتُ إلى وجهي الخالي من المساحيق في المرآة...وتحسستُه في هدوءٍ...وبداخلي ترددَ ذاتُ السؤال...من أنتِ؟!....أصبحتُ حقًّا لا أعرفكِ.....أين اختفت فريدة التي أعرفها وأحبها؟!

لاحت دمعةٌ في عينيَّ....أَشَحْتُ بوجهي بعيدًا عن وجهي الآخر......وارتديتُ منظاري الشمسي وأنا أتنهد....أمسكتُ بحقيبتي وألقيتُ بنظرةٍ يائسةٍ على تلك الأنثى الباهتة التي لا تشبهني في شيءٍ...فعاودتْ دموعي الظهور مرةً أخرى.

نظرتُ للأرض في أسًى وانصرفتُ متجهةً للخارج...لن أوقظ "منير"...ما ذنبه كي يستيقظ مبكرًا يوم أجازته....ما ذنبه في أَرَقِي وسهادي اللذينِ أصبحا عادةً لا مفر منها.. و تنهدتُ وأنا أهبط درجات السلم محاولةً تجاهل ذلك الصوت الذي يتردد في أعماقي.... إنني تجنبتُ إيقاظه هربًا منه...ماذا أقول له....إلى أين أذهب؟! لا أدري....أحتاج أن أتنسم هواء النيل وحدي......أحتاج أن أتحرر فعلًا من كل قيودي...وأولها أنت...أنت يا منير .

تنهدتُ في ألمٍ...ووضعت كفيَّ في جَيْبَيْ سُترتي الرياضية...وسرتُ بجوار النيل....حبيبي الأكبر.....كم شهد من أحداثٍ في حياتي...ليس لي صديقٌ غيره....يحتوي عبراتي...يشهد انكساراتي...وانتفاضاتي...حتى المرأة الأخرى التي لا تشبهني...كان شاهدًاعلى كل ماكان سببًا في جَعْلها أخرى

غيري...تنهدتُ وأنا أبتسم...أي هراء هذا الذي أفكر فيه..وما جدواه الآن؟!

قادتني قدماي إلى أحد المطاعم الإيطالية المطلة على النيل...جلست على منضدةٍ بعيدةٍ عن أعين الناس، واتجهت صوب النيل.......حبيبي الأول...والأخير أيضًا...داعبتُ شعري بأصابعي وتنهدتُ وأنا أتذكر يوم طلبني منير للزواج...منذ عشر سنواتٍ....كنت سعيدةً وكان هو مبهورًا...مبهورًا بي طوال الوقت.....وحتى الآن....هو مبهورٌ بي...يحبني منير....ولا يجد لنفسه حياةً لا أكون معه فيها....بدوني...منير كشجرةٍ اقتلعوا جذورها.......ورغم أننا لم ننجب فإنه لم يتغير تجاهي....بل طلب مني ألا نخضع لأي فحوصاتٍ ؛لأنه لن يتركني سواء أَكنت أحمل أنا العيب أم هو...لا فارق....طلب مني أن أعتبره ابني ويعتبرني ابنته....وأن ننسى الموضوع ونتركه للزمن.

تنهدتُ وقد بدأت عيناي تدمعانِ...معه حقٌّ...لا فارق....لم أُعِر الموضوع اهتمامًا...بل وتمنيت كثيرًا لو يطلب مني أن يتزوج بأخرى لينجب...لن أمانع....هذا حقه...غَيْرة...بالتأكيد لا....لن أغار...لماذا؟؟؟

ببساطةٍ لأنني لا أحبه كما يحبني...نعم هكذا وببساطةٍ....منير....ناجحٌ...رائعٌ...طيبٌ...هادئٌ...بل أقرب للمثالية...تحسدني عليه الأخريات....أين المشكلة إذن؟!

المشكلة أنني أخطأت الاختيار....هو نموذجيٌّ...ولكنه ليس لي....منير رائعٌ...ولكنه لا يعرف عن الأنثى إلا أنها أنثى...لا يعرف كيف يدير قواعد اللعبة إذا كانت هذه الأنثى صاحبة حسٍ مرهفٍ....صاحبة فكرٍ...مبدأٍ...شخصيةٌ...وعقلٌ للأسف يفوق عقله في أحيانٍ

كثيرةٍ.....بسيطةٌ...لا...ليست بسيطةً...هذه فجوة قد تشعل نيرانًا لا تخمد....نيرانًا تلتهم كل شيءٍ...ما الذي يفعله رجلٌ يعشق امرأة وهو يشعر طوال الوقت أمامها أنها تستحق ما هو أفضل....وأنه غير قادرٍ على أن يأسرها...يحتويها...غير قادرٍ على أن يكون هو كل حياتها...كحلم كل رجلٍ شرقيٍّ عظيمٍ في مجتمعنا الشرقي الجليل.

ابتسمت دونًا عني في سخريةٍ....أعقبتها تنهيدةٌ حارةٌ صدرتْ من أعماق صدري...وانسابت دموعي وأنا أتذكر المآسي التي مررتُ بها مع منير...وكيف جعل كلٌّ منا حياة الآخر حرائق لا تنتهي؛عذابًا...ألمًا....دموعًا بلا طائل...والسبب؟...هو العجزُ....عجزُ كلٍّ منا التام عن إسعاد الآخر....عجزُه عن أن يحتوي أحلامي...عجزُه عن أن يحتضن قلبي...وأن يكون هو الكوكب الوحيد الذي أدور في فلكه....ومحور حياتي الذي أتعبد في محرابه...شعر بمرور الوقت بالفشل...وأصبح العجز يقتله...فتفنن في إشعاري أنا بالعجز عن إرضائه...وأعترف....عجزت عن إرضائه...لأنني لن أكون الأنثى التي يعرفها كل رجل....لست أنا الأنثى التي هي فقط أنثى.... كل ما يميزها أنها مؤنثٌ وكفى...مؤنثٌ تشريحيًّا وأنثى أو امرأة بمفهوم مجتمع شرقيٍّ أبى ألا يرحم هذا الكائن المقهور دومًا...وأنا قهر المرأة يقتلني. لماذا إذن...وكيف كانت البداية؟؟؟

كنت صغيرةً...متمردةً ومختلفةً لدرجةٍ جذبتْ حولي الكثير من الرجال...لماذا منير؟..تنهدتُ ومازالتْ دموعي تنسال في صمت....كنتُ أمُرُّ بأزمةٍ كبيرةٍ وقتها....وظهر هو ليلعب دور الفارس المنقذ...تفنن في إرضائي...كنتُ أشعر أنه في سباقٍ للحصول على كنز لو ضاع منه

سيبكيه للأبد...ولن يسامح نفسه طوال العمر...تفنن؛ لأنه أرادني...منير يحبني...لا... هو يحب امتلاكي...وهذا ما اكتشفتُهُ فيما بعدُ..يحب أن يذكر بعد اسمه أنه هو الرجل الذي خلب لُبَّ فريدة سليمان...وأسرها بمحبسه الذهبي للأبد.

بدأتُ دون أن أشعر أنهنه كالأطفال....تذكرتُ تلك الفريدة التي رحلتْ عني منذ زمنٍ....منذ كَفَّتْ عن ممارسة أي شيءٍ يتعلق باختلافها....تركتُ عملي الذي أعشقه بالإذاعة....نسيتُ النحت...نسيتُ القراءة وعزف البيانو...نسيتُ تمردي ووضعتُه داخل صندوق ذكرياتي وأغلقتُ عليه بقُفْلٍ لا مفتاح له...أنا الآن أُسَخِّرُ نفسي لإرضاء منير....أساعده في عمله....في تخطيطه لحياته....ونهوضه بنفسه...أحاول أن أعوض عجزي عن إسعاده...وعجزي عن إنجاب طفلٍ له... بأن أُفْنِي نفسي في شخصه....وعمله..وصفقاته التي لا تنتهي......

...وهو؟ هو في أسعد حالاته هذه الأيام....بعد أن وصلت أنا لهذا الحال...أصبحتُ لا أعرفني...ولا أستطيع أن أنظر لنفسي في المرآة...أصبحتُ لا أرى فيها سوى شبح امرأةٍ عرفتُها زمنًا ما...امرأةٍ خبا بريق عينيها للأبد...امرأةٍ وأدتْ روحها بيديها وعاشتْ جسدًا بلاروحٍ...كي تُفْنِي نفسها في كيان رجل هو نفسه يعلم جيدًا أنه لا يستحقها.

عند هذه النقطة انهرتُ وعلا صوت بكائي أكثر....هززتُ رأسي في عنفٍ وأنا أشعر بثورةٍ هائلةٍ تجتاحني...وأشعر بفريدتي تناديني أن أرحمها من عذابها وغربتها...كتمتُ صرخةً كادت تشق صدري وتمزق ضلوعي....وبكيتُ...في ألمٍ... في رثاءٍ بكيتُ...في عجزٍ بكيتُ.

كان هذا حينما جلس هو على المقعد المواجه لي....انتفضت في فزعٍ...ومن بين دموعي سألتُه في استنكارٍ:...من أنت؟! في حنانٍ بالغٍ أجابني:....أنا شخصٌ أرسله لك القدر ليمسح هذه الدموع الغالية.

لوهلةٍ ظننتني أحلم..أو أهذي...ثم قلتُ له في عصبيةٍ: أرجوكَ أن تنهض...لست في حالةٍ تسمح بمزاحٍ من أي نوعٍ......وكيف تسمح لنفسكَ أن تقتحم خصوصيات الآخرين بهذه الطريقة؟!

بصوتٍ عذبٍ دافئٍ وبالحنان نفسه أجابني: أنتِ مني....شعرت بكِ.....رغم وجود كل هؤلاء البشر حولي وحولكِ....فإنني لم أر سواكِ...وسوى دموعٍ لم أستطع ألا أن آتي لأزيلها عن عيونٍ لم أرها....ولكنني أعلم أن صاحبتها لا تستحق أن تُتْرَكَ وحدها تتألم بهذه الطريقة.

للمرة الثانية أشكك نفسي فيما أسمعه....هل الانهيار والإرهاق أصاباني بهلاوسَ، أم أن هذا الرجل حقيقةٌ أمامي وما يقوله هو فعلًا ما أسمعه......لم أشعر بنفسي إلا وأنا أنهض وأجذب حقيبة يدي...نهض بدوره وأمسك ذراعي برفقٍ ونظر لي في ثباتٍ قائلًا في رجاءٍ: أرجوكِ....دعيني أساعدكِ.. دونًا عني.. نفضتُ يده في قسوةٍ لا أعلم سببها، ورجوتُه أن يتركني لحالي....يكفيني من الألم ما تحمله ضلوعي...فإذا به يحدثني أنه الأمل وليس الألم....نظرتُ إليه وقد عجزتْ قدماي عن أن تحملني أكثر من ذلك.

انهرت على أقرب مقعد بجواري...وأطلقت لدموعي العَنان... بكيتُ كما لم أبكِ من قبلُ....بكتْ فريدة التي أضعتُها مني...بكيتُ ظلم منير لي رغم طيبته...وبكيتُ أيضًا على منير....هو أيضًا تعيسٌ...لا يقوى على تركي

وفي الوقت نفسه هو غير سعيدٍ...أيامي وأيامه تضيعانِ معًا وعُمْرَانَا يتبخرانِ في الهواء دون لحظة سعادةٍ واحدةٍ...بكيتُ نفسي التي أصبحتْ حتى لا تريد أن تستشعر حب وإعجاب الآخرين....بكيتُ غريبًا يظهر في وقتٍ غريبٍ...ليلقي على مسامعي كلماتٍ أغرب...أحاول استيعابها واستيعابه ولا أستطيع. بكيتُ حتى انتهتْ مني الآلام.

ألقيت برأسي للوراء وأنا أتأمل السماء من فوقي....وعدتُ أنظر للنيل من أمامي...ثم نظرتُ إليه....كان يتأملني وهو يعقد ذراعيه أمام صدره مبتسمًا في هدوءٍ وكأنه لم يقلب كياني منذ ثوانٍ.

سألتُه في تعجبٍ: أي رجلٍ أنتَ؟!

أجابني بذات الابتسامة الهادئة: رجلٌ جُنَّ بكِ من اللحظة التي رآكِ فيها.

قلت في جديةٍ: أنا لا أمزح.

أجابني بالجدية نفسها: ولا أنا.

- أنتَ لا تعرفني.

- بل أعرفكِ.

- ولكنني لا أعرفكَ...لم أركَ من قبلُ.

ارتكن بمِرْفقيه إلى المنضدة وهو يقترب مني ناظرًا في ثباتٍ إلى عينيَّ وهو يبتسم قائلًا: ولا أنا...ولكنني أعرفكِ...منذ زمنٍ...لأنك مني...لماذا لا تصدقين؟......ثم ضحك ضحكةً خفيفةً قال بعدها: اسأليني عنكِ أي سؤالٍ وأراهن أن الإجابة لن تبتعد كثيرًا عن الحقيقة.

ابتسامةٌ ذاهلةٌ اعتلتْ شفتيَّ وهززتُ رأسي في عجبٍ وسألتُه ساخرةً: ألا ترى أن عمرينا لا يسمحانِ بكلام المراهقينَ هذا؟!

أجابني في هدوءٍ حاسمٍ: ومن قال إن الحب يقتصر على المراهقينَ فقط؟!

فلتت مني ضحكةٌ ساخرةٌ وأنا أسأله: أي حب هذا؟!

- حبي لكِ.

- أنت مجنونٌ.

- بكِ.

صمتٌ تامٌّ أصابني...لا أعرف ماذا أقول...لا أنكر أن نسماتٍ من السعادة لاحتْ بداخلي...لا أنكر أن قلبي الكسير بدأ يستشعر تغريداتٍ فرحةً اشتاق لها طويلًا..لا أنكر أنني أشعر بارتياحٍ كبيرٍ وأنا معه...فجأةً شعرتُ أنه ليس بغريبٍ...فجأةً اجتاحني شعورٌ بأنني ربما أعرفه منذ زمنٍ ولا أتذكره...تأملتُه في هدوءٍ......ذلك الغريب الذي يعرفني ولا أعرفه...هادئ الملامح..ممشوق القوام...ابتسامته ساحرةٌ...صوته دافئٌ عذبٌ...والأجمل من كل هذا هو الثقة التي يتحدث بها.

من وسط كل هذا وجدتني أرجوه وكأنني أرفض تصديق وجوده أمامي: لا أحتمل انكسارًا جديدًا يضاف لانكسارات حياتي.

بنفس ثقته الساحرة أجابني: لستُ انكسارًا ولن أكون أبدًا....بكِ أنا أقوى..وبي ستكونين أصلب..أعدكِ بهذا. سألتُه في استنكارٍ: من أين لكَ بكل هذه الثقة؟

في حنانٍ بالغٍ أجاب: قلبي رآكِ قبل بصري...ولهذا مدلولٌ كبيرٌ عندي....لستِ ككل النساء.

تنهدتُ في أسًى...وتذكرتُ كم سمعتُ هذه الكلمات من قبلُ ، ومنذ متى لم تداعب أذني كلماتٌ مثلها...كثيرًا ما كان منير يلقيها على مسامعي قبل

أن يتزوجني...كان يعلم جيدًا أن هذا هو مدخلي....ودخل فيه بكل الجرأة والتحدي والثقة لديه......ووجدتني أنفض رأسي في عنفٍ...وكأنني أرفض التأثر بهذه الكلمات مرةً أخرى...ولكنني....فعلًا تأثرت...كنتُ كالظمآن الذي أخيرًا بللتْ شفتيه قطرات الماء...كيف لا أتأثر بعد عمرٍ من الحرمان؟!كيف أقاوم الصدق والثقة اللذينِ يفيضانِ من كلماته؟!كيف أتعامى عن رجلٍ بهذا الرقي...بهذا الحنان...بهذا الدفء؟!وتساءلتُ بداخلي..أي الرجال أنتَ؟!...ربما لو كنتُ في مكانٍ وزمانٍ آخرينِ لما كنتُ بهذا الجمود معكَ.

تنهدتُ في ألمٍ وأنا أسأله في انكسارٍ: من أين ظهرتَ لي؟!

ابتسم وهويشير إلى أحد جوانب المطعم...: من هذا الركن هناك...خفق قلبي بشدةٍ حينما رأيتكِ...وللمرة الأولى في عمري بأكمله...وعرفت حينها أنكِ هي

- رجاءً كُفَّ عن كلام الروايات هذا..

هز رأسه نافيًا وهو يقول: لا مجال للروايات هنا...أنا جادٌّ جدًّا في كل كلماتي...

ضحكتُ ساخرة وأنا أرفع كفي اليسرى أمام وجهه قائلةً: قل لي إذن ماذا ستفعل في هذه؟!..

وأشرت لمحبس زواجي. اتسعت عيناه من فرط صدمته...

بينما قلت أنا: أعلمتَ أنني لست منكَ كما تقول.

رد بلهجةٍ قاطعةٍ: مستحيل.. سألتُه متعجبةً: وما هو المستحيل؟؟؟

أجابني في استنكارٍ: كيف يكون هناك رجل في حياتكِ ويتركِكِ تنهارين لهذه الدرجة؟!وأكمل في حسمٍ: إلا إذا كان هو السبب؟

تنهدتُ وأنا أشيح بوجهي بعيدًا عنه قائلةً: لا تبدأ مرة أخرى...أرجوكَ لم أعدْ أحتملُ...فقط اتركني وارحل.

- مستحيل.

نظرتُ إليه محتجةً في عصبيةٍ: ما هو المستحيل؟!...المستحيل هو ما تفعله أنتَ الآن...أنا مِلكٌ لغيركَ.

- كيف يبدو؟

سألتُه متحديةً: ولِمَ سؤالكَ؟

أجابني في غَيْرةٍ واضحةٍ وقد لاحت في عينيه دمعةٌ بعيدةٌ: أريد أن أعرف كيف يبدو هذا الرجل الذي يحتويكِ بين ذراعيه كل ليلة.كيف يبدو الرجل الذى يشاركِكِ..أفراحكِ وهمومكِ...جنونكِ...ويأسكِ..كيف يبدو الرجل الذي أبكاكِ هكذا...و......وأَ تُراكِ تستطيعين البكاء على صدره أم هو يكتفي بأن يبكيكِ ويتركِكِ وحيدةً هكذا؟! بصوتٍ مخنوقٍ سألتُه: أحقًّا أنتَ لا تعرفني؟؟....ثم استدركتْ في تحفزٍ متجنبةً سماع المزيد من كلماته: لِمَ أنت واثقٌ هكذا من كل ما تقول؟!

- أخمن ولكن يبدو أن كلها تخميناتٌ صحيحةٌ. ارتكنتُ بظهري إلى ظهر مقعدي وأنا أعقد كفايَّ أمام صدري قائلةً: إنه رجلٌ رائعٌ...ربما لا أستحقه أنا.

أجابني متحديًا: لا أصدق. في تحدٍ مماثلٍ أجبتُه: أنت حرٌّ...هذه هي الحقيقة.

- ولهذا كنتِ تبكين؟

نظرت أمامي إلى المنضدة هربًا من نظراتِه التي أشعرها تخترقني...وتنهدتُ وأنا أُربّتُ على كتفي بكفي قائلةً:كنتُ أبكي نفسي التي تاهت مني ولم أعد أجد لها مكانًا في حياتي بعد الآن.

- لم أخطئ إذن حينما قلتُ إنه مسئولٌ عن تعاستك.

نظرت إليه وأنا أقول بعصبيةٍ: لا تتصيد له الأخطاء.......ولاح أمامى وجه منير الهادئ وقلتُ في هدوءٍ وكأنني أعيد ترتيب ذرات الرماد المتطايرة والتي دفنت نفسي بداخلها منذ زمنٍ: قلتُ لكَ إنه رجلٌ رائعٌ....المشكلة تكمن هنا...وأشرت إلى نفسي.

دُهِشَ وهو يسألني بحنانه المعهود: فيكِ أنتِ؟! أومأتُ برأسي قائلةً: نعم...امرأةٌ عنيدةٌ..صعبةٌ المِراس...مجنونةٌ. وضحكت متهكمةً وأنا أردد كلمات طالما ترددت على مسامعي:...طالما آلمتني...ولكن لِمَ الهروب...إنها حقيقةٌ...نعم مجنونةٌ....غير قابلةٍ للحياة مع البشر داخل التيار.

قال مبتسمًا في هدوءٍ وكأنه يقر حقيقةً ما: ليس كل الاختلاف سيئًا .

قلتُ بسخريةٍ يائسةٍ وكأنني أقتل كل الآمال التي تستيقظ بداخلي:...تقول ذلك لتأسرني باختلافك.

أجابني بلهجةٍ صادقةٍ: بالتأكيد لا..لست في حاجةٍ لأدعي أي شيءٍ معكِ....أنا فعلًا عاشقٌ للاختلاف؛ ولهذا شعرتُ بكِ.

نفس السخرية قلتُ له: تضحكُ على نفسكَ...كلكم سواء..في النهاية كلكم واحدٌ..وانسالت دموعي من جديدٍ.

في رجاءٍ سألني: أي ضمانات تطلبينها لتُصَدِّقي؟

أجبتُه من بين دموعي في حسمٍ: الموضوع مُنْتَهٍ...أنا مِلكٌ لرجلٍ آخرَ.
لاحقني بعينيه...بصوته الدافئ...بحنانه واستنكاره وهو يقول معترضًا:..
لا يفهمكِ.
- ولا أنا أيضا.
- يعذبكِ.
- يتعذب أكثرمني.
- لا يحبكِ.
- أنا التي لم تستطع أن تريَهُ ما هو الحب الحقيقيُّ.
- لأنه لا يعرف كيف يحتويكِ.
- لا ألومه....قلتُ لكَ إنني امرأةٌ صعبة المِراس...المشكلة فيَّ أنا .
دق بيده المنضدة محتجًا وتراجع للوراء وهو يسألني مستنكرًا: وأي حياةٍ هذه؟!
ابتسمتُ بمرارةٍ قائلةً: حياة من هم مثلي...هذا هو قَدَرِي...كُتِبَ عليّ أن أشقى طوال عمري...وما دمتُ قبلتُ التحدي من البداية...فسأتحمل المسئولية وحدي.
في رجاءٍ سألني: ولِمَ؟ يمكنكِ التراجع...يمكنكِ دومًا البَدء من جديد...بإمكانكِ أن تقفي وتعيدي حساباتك...نعيش الحياة مرةً واحدةً..ويجب أن نقتنص لحظاتها التي نحياها.
تراجعتُ في مقعدي وأنا أقول دامعةً: ليس قرارًا سهلًا ما دام لا يخصكَ وحدكَ..هناك طرفٌ آخر سيذبح بهذا القرار...واستدركتُ ساخرةً: ماذا تطلب مني أن أفعل؟ أتطلب مني أن أترك زوجًا- أنا عماد حياته- بهذه السهولة؟!

لدهشتي قال في صدق: بالتأكيد لاأطلب منكِ شيئًا كهذا...لا أستطيع أن أطلب منكِ شيئًا تخسرين به نفسك للأبد...أريدكِ أنتِ أن تقرري بكامل إرادتكِ...وحدكِ......وتنهد وهو يقول في كبرياء: لأنني أريدكِ معي مرفوعة الرأس........شامخة كما أراكِ الآن..أريدكِ أن تعرفي معي حبًّا طالما تمنيتِهِ...حبًّا لن يكتمل أبدًا بانكساركِ أمام نفسكِ.

نظرت له في أسًى....ما هذا الرجل؟! ما هذا الذي يقول؟!...بعد كل كلمات الهوى والإعجاب يتركني بهذه البساطة؛ لأنه لا يريد لي أن أنكسر أمام نفسي...أهو حقًّا رجل أم هو إلى الملاك أقرب...؟! في عنادٍ ومن بين دموعي قلت لنفسي بصوتٍ تعمدت أن يسمعه: لا...أنت وهمٌ كبيرٌ.

وفي يأسٍ سألتُه: أين كنت أنت منذ عشر سنواتٍ؟

ابتسم في انكسارٍ وهو يقول: مازال بداخلي ذاك اليقين أنكِ مني..ولي في النهاية. في شبه انهيارٍ بكيتُ وأنا أسأله:...ماذا تطلب مني أن أفعل الآن؟ كيف بإمكاني أن أعيش وأفكر ،أن اختار وأقرر بعد كل ما فعلتُ وقلتُ؟...أنا أموت كل يومٍ و كل ساعةٍ وكل دقيقةٍ...وفجأةً تأتي أنت مادًّا لي يدكَ وروحكَ وقلبكَ في لحظةٍ وتخبرني بعدها أن لي حرية الاختيار؟! أي حريةٍ؟! وأي اختيارٍ؟!

نظر لي في هدوءٍ وثقةٍ كعادته...وبالثقة نفسها احتوى كفيَّ بكفيه...كانت المرة الأولى التي يلمسني فيها رجلٌ آخر غير منير...انتفضت ولاح أمامي وجه منير...حاولت أن أسحب كفيَّ ولم أستطع.....شيءٌ ما في هذا الرجل يخبرني ألا أقلق من شيءٍ....معه أشعر أن فريدة تعود...تركتُ كفيَّ بين كفيه...كنتُ أشعر أنه يحتويني كلي...يحتوي قلبي الذي أدمته طعنات وغدر الآخرين...يحتوي نفسي التي نسيتُها في خِضَمِّ أحداث

حياتي وآلامي...كنتُ أشعر أنه يُرَبِّتُ على الطفلة بداخلي ويهمس في أذنيها أن تهدأ...وتترك كل مخاوفها بين يديه..ولا تقلق.

رفعتُ عينين ذابلتين من البكاء إليه...فقال:..لا تبكِ...أرجوكِ...اسمعيني.....وتنهد مكملًا:..فلتعطِ لنفسكِ فرصةً عامًا من الآن...فلتذهبي... انسيني...واصلي حياتكِ...وامنحي نفسكِ وزوجكِ كل الفرص...بهدوءٍ...بحبٍّ...باحترامٍ...بصدقٍ...بمحاولاتٍ جادةٍ لجعل الحياة أسعد.

نظرتُ إلى الأرض وأنا أتنهد في يأسٍ .

تنهد بدوره في ألمٍ ثم استدرك قائلًا في أملٍ:وإذا لم تستطيعي أن تكملي حياتكِ معه بعد هذا العام...فلتتذكري دومًا أن هناك مكانًا هائلًا ينتظركِ بين ضلوعي وعيوني.

وكأنني تنفستُ الحياة بعد أن نسيتُ كيف أتنفسها...وتساءلتُ بداخلي...وماذا بعدُ؟ إلى أين سأذهب بعد كل ما حدث وما سمعت؟

لم يتركني طويلًا لحيرتي....أرخى كفيه من على كفيَّ...وتراجع للوراء في مقعده قائلًا:...وليكن لقاؤنا وقتها هنا..على هذه المنضدة....وفي مثل هذا الوقت...بعد عام من الآن.

سحبتُ كفيَّ من بين كفيه في بطءٍ ، ثم احتويتُ كفيَّ بعضهما البعض في قوةٍ وكأنني لا أرغب في أن يفارقهما شعورهما بالأمان... تأملتُه كثيرًا...قاومتُ رغبة عارمةً في أن أرتمي بين ذراعيه وارتوي من رجولته الحانية....قاومتُ كل نداءات نفسي..وعقلي..وقلبي بألا أتركه....... ونهضتُ من وسط ذهولي...نهضتُ وأنا أُخْرِسُ كل الأصوات بداخلي...وحاولتُ أن أستعيد صورة منير أمامي...ووضعتُها في إصرارٍ

أمام عيوني وأمام قلبي..كالمسحورة مددت كفي أصافحه وتساقطتْ دموعي مرةً أخرى وأنا أقول بصوت مذبوحٍ: فريدة لاحت في عينيه دمعةً حائرةً وابتسم محاولًا إخفاء ألمه ورغبة عارمة استشعرتُها باحتوائي بين ذراعيه...وقال في حبٍّ...صادقٍ...وحقيقيٍّ...وكأنه يقنع طفلة بشيءٍ ما: هائمٌ بفريدة...فقط حتى ألقاك مرةً أخرى...بعد عامٍ من الآن....أخبرِكِ عندها من أنا.

سحبتُ كفي وارتديتُ منظاري الشمسي...وعقدتُ ذراعيَّ أمام صدري لا إراديًّا...وبكفي مسحتُ على ذراعيَّ وكأنني أُربِّتُ عليهما...تراجعتُ للخلف وأنا أنظر له في تردد..أحقًّا ستتركني...أحقًّا سأعود إلى حياتى وكأنكَ لم تكن.....استدرتُ مسرعةً قبل أن أتراجع وأنهار....وداخلي يموج بانفعالات شتى...بمشاعرَ تتخبط في كل الاتجاهات....مشاعر ذبيحة تصرخ وتطالبني بالبقاء..ومشاعر أخرى تخبرني أن أستمع إليه..ومشاعر تذكرني بمنير والناس والمجتمع..بصراعاتٍ لا أقوى عليها.

انصرفتُ وبداخلي ألمٌ يفوق ألمي هذا الصباح أضعاف أضعافه...وتذكرتُ كلماته عن شموخي وعن رغبته ألا انكسر أمام نفسي.....عبرتُ الطريق واتجهت بخطوات مسرعة نحو النيل...ودمعت عيناي وأنا أنظر إليه وكأنني أُشْهِدُهُ على سري الكبير...سر هذا الغريب الذي قلب كياني...والذي أعلم أنني لن أنساه أو أنسى كلماته أبدًا ماحييتُ....كأنني أُشْهِدُهُ أن قلبي عاد مرةً أخرى يطير كعصفورٍ صغيرٍمنذ رآه وسمعه...أُشْهِدُهُ أنني وجدت فريدة أخيرًا.

عاودتُ النظر إلى المطعم من بعيدٍ وأنا ابتسم...هناك شعورٌ جديدٌ ينمو على استحياء بداخلي... فرغم كل آلامي...فإنه نجح في أن يزرع

بداخلي أملًا ظننتني نسيتُ معناه... حتى لو كان أملًا واهيًا...فهو أفضل مئات المرات من أن أعيش جسدًا بلاروحٍ..بلا أملٍ...يكفيني أن أعيش هذا العام على ذكراكَ العطرة..ولننتظر بعدها إحدى نهايات القدر....ومن يدري؟!

من هو؟

من قال إن قوة المرأة تكمن في لحظات ضعفها.......هو حتمًا خبيرٌ في شئون النساء.......طوال عمري لم أكترث للنساء وأمورهن.......طوال عمري كنتُ ذلك الدنجوان الذي تأكله أعين النساء أينما ذهب....وكنتُ حقًّا أستمتع بدور اللامبالي الأعزب الأشهر الذي لم تأسره امرأةٌ على الأرض أيًّا كانت...حتى أنني وصلت بقناعاتي إلى أنها لم تُخْلَقْ بعدُ.........أترك لمن حولي الشعور بلذة الحب...وأتلقى كلماتهم العاشقة بسخريةٍ شديدةٍ....يملؤها يقين من الداخل أنه في مكانٍ ما...هناك امرأةٌ تدخرها لي السماء.........أتمناها من كل قلبي.... تتربع من الآن على عرشه.....وتسكن طيات صدري....لم أحاول وضع صورةٍ لها....كنت أعلم أنها لن تضل طريقها إليَّ....مهما طال العمر...

وحينما رأيتها للمرة الأولى..تحرك بداخلي شيءٌ ما...شيءٌ أخبرني أنها تختلف...رغم انهيارها الشديد وبكائها الصامت الذي كان يذبحني وأنا أجلس بعيدًا أراقبها دون أن أجرؤ أن أحرك ساكنًا...وبداخلي كان يدوي صراعٌ عنيفٌ بين أن أقطع المسافات والحواجز لأحتضنها وأسألها عمَّن يبكيها لأقتص لها منه.....وبين أن أظل مكاني أتأملها ودموعها تنسال ساخنةً حائرةً على وجنتيها....فأشعر أكثر وأكثر أنها مني ولي.

قاسٍ؟! لم أكن يومًا قاسيًا...ولكنه ذلك الهاجس الذي يصلبني في مقعدي....هاجسٌ يخبرني أن كل خطوةٍ أخطوها نحوها هي خطوةٌ أمحو بها جزءًا من تاريخي وماضيَّ ؛لأن هذه المرأة وحدها تملك حاضري

ومستقبلي......منذ رأيتها عرفتُ، وكلما تأملتها أدركتُ أنها حقًّا لم تضل طريقها لي...ولن أتجاهل نداءاتها أكثر من ذلك .

حسمتُ أمري ونهضتُ......نهضتُ أخطو بملء إرادتي...أم مسلوب الإرادة لم أفكر...كنتُ أخطو نحوها قابلًا كل تحدياتها...هي مني....أعلم ذلك..........على المقعد المواجه لها جلستُ...نظرتْ لي من بين دموع لم يحجبها منظارها الشمسي.....وتساءلتْ بصوتٍ مبحوحٍ يملؤه الأسى: من أنتَ؟

جاهدتُ نفسي ألا أحتويها وحاولتُ أن أكون هادئًا....حازمًا....حانيًا...جادًّا.....وأنا أقول....أنا شخص أرسله لك القدر ليمسح هذه الدموع الغالية....

لم تتغير نظرتها إلا بعد حين... حينما تحولتْ من الدهشة للاستنكار وهي تقول: لست في حالة تسمح بمزاح من أي نوعٍ...من أنتِ لتقتحم وحدتي وخصوصيتي وتجلس دون مقدمات أمامي وتلقي على مسامعي تلك الكلمات.

أجبتها بنفس الجدية والهدوء: أنت مني...شعرت بكِ...رغم وجود كل هؤلاء البشر حولي وحولكِ ،لكنني لم أرَ سواكِ وسوى دموعكِ.....لم أستطع إلا أن آتيَ لأزيلها عن عيونٍ لم أرها...ولكن صدقيني...أنا أعلم أن صاحبتها لا تستحق أن تُتْرَكَ وحدها لتتألم بهذه الطريقة.

نهضتْ وهي تجذب حقيبتها...نهضتُ مسرعًا لأمسك ذراعها برفقٍ ونظرتُ إليها قائلًا" أرجوكِ دعيني أساعدكِ..........نفضتْ يدي في قسوةٍ وقالت وهي تبكي: أرجوك أنت...اتركني، لم أعد أحتمل ألمًا جديدًا يضاف لحياتى..

عاجلتها في رجاءٍ: ولِمَ لا يكون أملًا وليس ألمًا..؟
انهارت على مقعدها وألقت بمنظارها ثم وضعت وجهها بين كفيها وانخرطتْ في بكاءٍ حادٍّ...تركتُها تبكي حتى تغتسل روحها بدموعها...تركتها ومازلتُ أتأملها....ضعيفةً لكن قويةً...كبرياؤها وحضورها طاغيانِ رغم انهيارها التام...هي امرأةٌ لا تعريف لها...غامضةٌ.... ساحرةٌ...جذابةٌ....رقيقةٌ...شامخةٌ.. فاقت كل الحدود....ظللتُ أتأملها وكلما مر الوقت وأنا معها تخبرني خلجاتي أنني على حق...إنها هي.
شيئًا فشيئًا خفت بكاؤها...وبدأت تهدأ...ولكنها مازالت صامتةً...نظرتْ إليَّ في تعجبٍ وسألتني:أي رجلٍ أنت؟
أجبتها وأنا أعقد ذراعيَّ أمام صدري: رجلٌ جُنَّ بكِ من اللحظة التي رآكِ فيها.
قالتْ في جديةٍ: لا أمزح.
قلتُ بدوري في جديةٍ أكبر: ولا أنا.
- أنتَ لا تعرفني.
- بل أعرفكِ.
- ولكنني لا أعرفكَ...لم أركَ من قبلُ.
- ولا أنا... ولكنني أعرفكِ...قلتُ لكِ أنتِ مني.
زفرتْ في ضيقٍ قائلةً: أعتقد أن عمرينا لا يسمحانِ بكلمات المراهقينَ هذه......
تساءلتُ في هدوء: ومن قال إن الحب يقتصر على المراهقينَ؟
ندت عنها ضحكةٌ ساخرةٌ وهي تقول مستنكرةً: حبٌّ...عن أي حبٍّ تتحدث؟!

- حبي لك.

- أنتَ مجنونٌ.

- بكِ.

صمتتْ...عجزتْ عن الحديث...ضرباتي متلاحقة ومن الصعب مقاومتها ولكنني حقًّا لا أفكر في الكلمات..هي فقط تنبع من داخلي وكأن قلبي يدخرها منذ زمن لهذه المرأة فقط .

تنهدتْ وهي تقول في انكسارٍ: لا أحتمل انكسارًا جديدًا يضاف لانكسارات حياتي...

- لستُ انكسارًا....بكِ أنا أقوى ، وبي أنتِ أصلب.

- من أين لكَ بهذه الثقة...من أين تعرفني؟

- قلت لكِ...قلبي رآكِ قبل بصري....ولهذا مدلولٌ كبيرٌ عندي...لستِ ككل النساء.

ظلتْ تنظر إليَّ في صمتٍ ودهشةٍ....تتراقص في عينيها كل المتناقضات....فرحٌ مع خوفٍ...أملٌ مع يأسٍ..حيرةٌ مع يقينٍ.. وندَتْ من فمها الرائع تنهيدةُ ألمٍ كبيرةٌ تمزق لها قلبي..وقالت في انكسارٍ: من أين ظهرتَ لي؟؟؟!!

- قلت لكِ رآكِ قلبي قبل بصري..

-رجاءً كُفَّ عن كلام الروايات هذا...

سألتها في استنكارٍ: أي رواياتٍ...أنا جادٌّ جدًّا في كل كلماتي.

ضحكتْ في مرارةٍ وهي تسألني بسخريةٍ: قل لي إذن ماذا ستفعل في هذا؟ ورفعت كفها مشيرةً لمحبسٍ ذهبيٍّ يحتل بنصرها اليسرى.

فتحت عيني في ذهولٍ بينما قالت هي: أعلمت الآن أنني لست منك كما تقول؟

لم أشعر الا بنفسي أردد: مستحيل.

- ما هو المستحيل؟؟

- كيف يكون هناك رجل في حياتك ويتركك تنهارين لهذه الدرجة؟

ثم استدركتُ قائلًا: إلا إذا....

- إلا إذا ماذا؟

- إلا إذا كان هو سبب انهيارك.....

ابتسمتْ في مرارةٍ وأشاحتْ بوجهها وهي تقول:....لا تبدأ من جديدٍ أرجوك....فقط...اتركني وارحل.

- مستحيل.

صاحت في عصبيةٍ: ما هو المستحيل؟ المستحيل هو ما تقوله أنت وما تفعله...أنا مِلكٌ لرجلٍ آخرَ.

- كيف يبدو؟

نظرتْ إليَّ في تحدٍ وهي تسألني: ولِمَ تسأل؟

أجبتها في هدوءٍ: أريد أن أعرف كيف يبدو هذا الرجل الذي يحتويكِ بين ذراعيه كل ليلة....كيف يبدو الرجل الذي يعيش معكِ كل لحظات حياتكِ...فرحكِ...يأسكِ...حزنكِ...انهياركِ...جنونكِ؟........

واعتدلتُ في جِلستي لأسألها في ألمٍ: كيف يبدو هذا الرجل الذي استطاع أن يبكيكِ بهذه الطريقة؟

- ولِمَ أنتَ متأكدٌ أنه السبب في بكائي؟

- تخمينٌ ولكن يبدو أنه صحيحٌ.
تنهدتْ في أسًى وهي تقول: هو رجلٌ رائعٌ...ربما لا أستحقه أنا...
- لا أصدق.
- أنت حرٌّ....هذه هي الحقيقة.
- ولهذا كنت تبكين؟
دمعت عيناها وهي تقول بصوتٍ مختنقٍ: كنتُ أبكي نفسي التي ذهبت بلا عودة..
- إذن هو مسئولٌ عن تعاستكِ...
- لا تتصيد له الأخطاء...قلتُ لكَ إنه رجلٌ رائعٌ.المشكلة تكمن هنا..
وأشارت في هدوءٍ تجاه نفسها...
سألتها في حنانٍ: فيكِ أنتِ؟!
أومأت برأسها وهي تقول: امرأةٌ عنيدةٌ...صعبة المِراس...مجنونةٌ...وضحكت في أسًى وهي تقول: نعم، مجنونةٌ غير قابلةٍ للحياة مع البشر داخل التيار...
- ليس كل الاختلاف سيئًا.
في يأسٍ قالت: تقول ذلك لتأسرنِي باختلافك أنت الآخر....سمعت هذه الكلمات كثيرًا..
أجبتها في صدقٍ: بالتأكيد لا..لست في حاجة لأدعي أي شيءٍ معكِ....أنا فعلًا عاشقٌ للاختلاف ولهذا شعرت بكِ.....
- تضحك على نفسك...كلكم سواء....في النهاية كلكم واحد.
- صدقيني لا....
- لم أعدْ أستطيع أن أصدق أي شيءٍ أو أي شخصٍ.

وانسالت دموعها من جديدٍ...سألتها في لهفةٍ قبل أن تذبحني أكثر بدموعها: أي ضماناتٍ تطلبينها لتصدقي؟

أجابت في حسمٍ: الموضوع مُنْتَهٍ...أنا مِلكُ لرجلٍ آخرَ..

- لا يفهمكِ.

- ولا أنا أيضًا.

- يعذبكِ.

- يتعذب أكثر مني مئات المرات.

- لا يحبكِ.

- ولا أنا استطعت أن أريه ما هو الحب الحقيقى.

- لأنه لا يعرف كيف يحتويكِ.

- لا ألومه...قلت لكَ أنا امرأةٌ صعبة المِراس.

بكفي دققتُ على المنضدة في عصبيةٍ وأنا أتراجع بظهري للخلف مستنكرًا: وأي حياةٍ هذه؟!

ابتسمتْ في مرارةٍ وهي تقول: حياة من هم مثلي...هذا هو قدري...كُتِبَ عليَّ الشقاءُ طوال عمري...وأنا قبلت التحدي من البداية...وسأتحمل المسئولية وحدي

سألتُها في رجاءٍ: ولِمَ؟ يمكنك دومًا التراجع...يمكنك دومًا البَدْء من جديدٍ....يمكنك دومًا أن تقفي وتعيدي حساباتك...و...وتعيشي....الحياة لحظاتٌ قصيرةٌ يجب أن نقتنصها..

تراجعت في مقعدها وهي تقول دامعةً: ليس قرارًا سهلًا ما دام لا يخصك وحدك..هناك طرفٌ آخر سَيُذْبَحُ بهذا القرار...واستدركتْ

ساخرةً: ماذا تطلب مني أن أفعل؟ أتطلب مني أن أترك زوجًا أنا عماد حياته بهذه السهولة؟!

قاطعتُها قائلًا بصدقٍ وأنا أتمزق بين إعجابي بوفائها ولهفتي عليها: لا أطلب منك شيئًا..بالتأكيد لا أستطيع أن أطلب منك شيئًا تخسرين به نفسكِ للأبد...أريدكِ أنتِ أن تقرري بكامل إرادتكِ...وحدكِ..لأنني أريدكِ مرفوعة الرأس.....أريدكِ شامخةً كما أراكِ الآن....أريدكِ أن تعرفي معي حبًّا طالما تمنيتِهِ....حبًّا لن يكتمل أبدًا بانكساركِ أمام نفسكِ.

في عنادٍ قالت لنفسها وهي تهز رأسها في أسًى: أنتَ وهمٌ كبيرٌ...وفي يأسٍ سألتْني وقد بدأت عيناها تدمعانِ...أين كنتَ أنت منذ عشر سنواتٍ؟

ابتسمتُ رغم الألم الذي يذبحني و أجبتها: مازال بداخلي يقينٌ أنكِ مني...ولي في النهاية.

تساقطت دموعها وهي تسألني في رجاءٍ: ماذا تطلب مني إذن أن أفعل الآن؟ كيف بإمكاني أن أعيش وأفكر وأختار وأقرر بعد كل ما تفعله معي وما تقوله...أنا أموت كل يومٍ...كل ساعةٍ...كل دقيقةٍ..وتجيء أنت مادًّا لي يدك....وروحك...وقلبك في لحظة وتخبرني بعدها أن لي حرية الاختيار....أي اختيارٍ؟

نظرت لعينيها في ثباتٍ...وبنفس الثبات مددت كفي أحتوي كفيها بينهما...انتفضتْ للحظةٍ...ثم استكانت...وتركت كفيها بين كفيَّ وبكت...رَبَّتُّ على كفيها قائلًا: لا تبكِ...أرجوكِ...اسمعينى..

رفعت عينيها الدامعتين إليَّ فأكملتُ:..فلتعطِ لنفسكِ فرصةً عامًا من الآن...فلتذهبي...واصلي حياتكِ...وامنحي نفسكِ وزوجكِ كل الفرص...بحبٍّ...بصدقٍ...باحترامٍ.....بهدوءٍ....بكل المحاولات الجادة

لجعل الحياة أسعد...وتنهدتْ في ألمٍ وأنا ألمح في عينيها أشباح انهيارٍ وأكملتُ قائلًا: وإذا لم تستطيعي أن تكملي طريقكِ معه بعد هذا العام...فلتتذكري دومًا أن هناك مكانًا هائلًا ينتظركِ بين ضلوعي وعيوني.

أرخيت كفيَّ حول كفيها وتراجعت في مقعدي قائلًا: وليكن لقاؤنا...هنا...على هذه المنضدة بعد عامٍ من الآن.

نظرت لي في هدوءٍ...وتأملتني طويلًا وكأنها تحفظ ملامحي بداخلها...ثم ببطءٍ نهضتْ كالمذهولة ودموعها تنساب في صمتٍ...ومدت يدها تصافحني قائلةً:...فريدة..

ابتسمتُ رغم ألمي لفراقها...وقاومتُ رغبةً عارمةً تجتاحني لأحتويها وأهدهدها...احتويت كفيْها وأنا أنهض قائلًا: هائمٌ بفريدة...فقط...حتى نلتقي....بعد عامٍ من الآن....أخبركِ عندها من أنا...

ثورةٌ في أعماق امرأة

لا.....

قلتها وخرجت...جريت بلا هدف...خرجت أتنشق هواء الحرية...بعيدًا عن رائحة الزيف والتملق التي تغلف الكلمات والنظرات وحتى المشاعر..خرجت بعينين تتزاحم فيهما الدموع...وجريت.بدأت أتحرر من كل ما يقيد الثورة بداخلي...الطوق الماسي الباهظ...القيود الفضية اللامعة حول معصمي....وحتى حذائي. تحررت من وجهي الآخر الذي غلف وجهي الحقيقي ببرودٍ قاتم. .تجردت من الشعور العارم بالضياع الذي أكسبني إياه الواقع الصلف .

..وبكيت.... بكيت لأطهر نفسي... فأعود من جديد برية الأعماق...يحلق الطائر الحر بداخلي فوق بحيرات صافية خالية من ركود عقارب الحياة.. وجريت..فاجتاحتني ذكراك.

قلت لي يومًا: أحببتك ثائرةً على قوانين الطبيعة....عشقت اقتحامي لبراري عقلك الرحبة....أدمنت الغوص في أعماقك لأنني عرفت بها معنى الحياة..وجريت...ودموعي تزداد انهمارًا...وتذكرت...كم من مرة قلت لا..لكل ما يتعارض في وضوح وصراحة مع مبادئي وأفكاري...كم من مرة أغلقت أبواب عقلي ومشاعري....أغمضت عينيَّ وصممت أُذُنيَّ عن إغراءات مادية سلبت من حولي العقول.

وجريت..وأنا أتنهد في مرارةٍ......قلتُ لكَ ذات مرة بعد غياب طويل: إنني ظامئة إليكَ !!

سألتني: كيف؟

فأجبتك: ظامئةٌ إلى شخصٍ غير مدعٍ...معتزٍّ بنفسه.....يسبح ضد التيار.....باختصار. .ظامئةٌ إليك.
ووضعت كفيَّ فى كفك...وعلقت أصابعى بأصابعك في شوقٍ مجنونٍ وجريت...وتذكرت...وبكيت. .ومازلت أجري. .حتى وصلت إلى شاطئ البحر الثائر الأمواج..فارتميت في إنهاك على الأرض وألقيت برأسي عليها في بطءٍ....ليتغلغل شعري الثائر بدوره بين الرمال الناعمة...بينما أخذ صدري يعلو ويهبط في عنفٍ..وعيناي تتأملانِ الفضاء السرمدي الفسيح من فوقي....رددت بداخلي....ها قد عدت إلى جذوري الطبيعية.....الأرض..البحر والسماء.
لمعت عيناي وأنا أراكَ تطل عليَّ من صفحة السماء فى ثيابٍ... بسيطةٍ.. . صادقةٍ... تبتسم..أبتسم....وأتذكر حينما طبعت على شفتيك قبلةً عميقةً في الطريق العام.. يوم انتصارنا الساحق على من باعوا أنفسهم لأوراقهم الخضراء المزركشة.
نظرت إليَّ بعينين لامعتين...قبل أن تعلق في رقبتي سلسلة عليها أحرف اسمك المتمردة....بلا تعليق.
وأبتسم وأنا أسمعك تقول لي: أشفق عليك من البركان الثائر في أعماقك.
أجيبك: لولاه ما كنت أنا...لولاه ما كنت أحببتني....وما كنت أحببتكَ.
أبتسم وأنا أراك تمتطي جوادكَ الأدهم الجامح....وتمد لي يدك....فأمد يدي إليك...لأعلو...وأعلو..لنحلق معًا
. في الفضاء الفسيح...بروحين من أعماق الطبيعة..على جناحين من نار ونور.....بحثا عن وجه صادق للحقيقة....

أنا..وأنت..إلي أين؟؟؟؟

ومازال قطار الزمن يمضي....ومازلت أقف مكاني...ومازلت كما أنت... منذ بضع سنوات...طالعني وجهك على شاشة التلفاز... تأملتكَ طويلًا..وكأنني أعيد التأكد من أنه وجهكَ....مازالت عيناكَ تحملان نفس البريق...ومازال صوتك يفيض بحماس الماضي...ومازلت أحبكَ...واستمر قطار الزمن يمضي ومازلت أنا أحلم...أحاول...أتخبط في جدران الحياة... أتذكركَ...فأحاول من جديد... أثور..و أدافع... أصرخ.. وأنهار..فأتوق إليكَ.

أرقب وجهك على شاشة التلفاز...أدمع حينما أرى دموع حماسك وانتصارك تتلألأ في عينيك....صوتك الذهبي يتخلل أعماقي...تتشربه نبضات قلبي.

أتذكرك يوم قلتَ لي:- اتركي البركان الثائر في أعماقكِ يطير بكِ....اتبعيه أينما ذهب..طيري معه..ستفعلين الكثير.

وهاهو قطار الزمن...مازال يمضي...أما أنا...فطرت مع البركان بأعماقي......ولازلت مكاني...أثور...وأدافع...أصرخ...وأنهار...فأتذكركِ.

في يومنا الأخير...كان بداخلي انتصارٌ ساحقٌ...قلت لكَ في ثقةٍ: لا تقلق...في أعماقي ثورةٌ جامحةٌ...حماسٌ يكفي لإشعال العالم كله...وضعت كفي في كفك...وجذبتك..وجريت...بل طرت..وتوقفت...ونظرت إلى عينيك...أنهل منهما الصدق..والصراحة..الثورة..والحماس بلا حدودٍ...مبادئي..ومبادئك.

قلت لي في وجومٍ: أخاف عليك...

أجبتك في تفاؤلٍ غريب: لا تخف...سأترك البركان الثائر يحركني ، وسأتذكرك دومًا.

وتركتني وسافرت..تواصل رحلتك وكفاحك... وبدأت أنا وحدي...أتحرك مع البركان...ومازال قطار الزمن يمضي...وعمري يمضي معه..ومازلت كما أنا.

بالأمس القريب...طالعني وجهك على شاشة التلفاز...تهاويت على أقرب مقعد وجدته...تأملتك طويلًا..طويلًا

مازلت تواصل رحلتك وكفاحك..عيناك تفيضانِ بذات البريق...وصوتك الذهبي..مازال يتخللني ليذيبني..وبكيت..وتحركت .

بعثت إليك ببرقية تحوي ثلاث كلمات...(أحبك..وأحتاج إليك).

وحينما تركت كل شيءٍ وجئتنى...ارتميت بين ذراعيك وبكيت.

قلت لي في حزن: لم أعهدك يومًا بمثل هذا الضعف.

أجبتك من بين دموعي: أنهكتني مرارة الواقع..وكلما لاح الأمل من بعيدٍ..وجدت نفسي أهوي في بئرٍ سحيقةٍ من اللا أمل.

قلت لي في رفقٍ: اعتدنا ذلك في حربنا ضد واقعٍ نرفضه.

أجبتك وأنا أنظر إلى عينيك: كلما قسا عليَّ الواقع..كنت أبحث في نهاية كل يومٍ عن صدرٍ أتكور بين جناحيه..حتى أتلاشى من الوجود..أختبىء بين ضلوعه حتى الذوبان.

وتنهدت وأنا أكمل: اعتدت قسوة الواقع حينما كان يتخللني بصيصٌ من النور...شعاع أملٍ يبثني الثقة...يجعلني أقف على الأرض بأقدامٍ ثابتةٍ.....اعتدته وأنت معي....أحتاج إليك.

...فاحتويت كفيَّ بين كفيك..وعلقت أصابعى بأصابعك...وجذبتني وجريت...سألتك: إلى أين سنذهب؟

أجبتني: إلى حيث نكون معًا..ننتصر معًا...أو نتلاشى معًا..

وأخذ القطاريمضي..ونحن نمضي معه...ولا نعلم...إلى أين سيأخذنا؟

لأنه يجيد احتوائي...

تلاحقت أنفاسي المضطربة وأنا أسير بخطًى مسرعةٍ متجاهلةً نظرات الإعجاب التى تحيط بي....تنهدت وأنا أحاول إخفاء صوت نبضات قلبي المتناثرة مع دقات كعب حذائي...ووقفت أخفي انفعالاتٍ تموج بداخلي وأنا أبحث بعيني عنك وسط الحضور...أين أنت...لا تتركني طويلًا أبحث عنك وسط كل تلك العيون....أين أنت لاختبئ بين عينيك وأتكور بين ذراعيك..

من بعيدٍ لمحت هاتين العينين....وتلك النظرة الساحرة...ومن سواك سيسحقني بتلك النظرة العاشقة؟

ابتسمت في خجلٍ ممتزجٍ بامتنانٍ...في كل مرةٍ تنظر إليَّ ذات النظرة تشعرني بأنك تراني للمرة الأولى وأنك تنصبني مليكة عرشك إلى الأبد.

تقدمت خطوتينِ....بينما أسرعت أنت لتلاقيني وكأنكَ تخاف أن يسرقني أحدهم منكَ.. توقفت وأنا أنظر لعينيك في عشقٍ هائمٍ....أمسكت بكفيَّ وقبلتهما بينما احتوتني عيناك بداخلهما وأنت تتنهد قائلًا: جميلةٌ..ساحرةٌ. .خلابةٌ. .كالمعتاد....مبهرةٌ.....دومًا مبهرةٌ.

ابتسمت وأنا أقول في امتنانٍ: لأنني أتيت فقط من أجل أن أنتمي إليك.

ابتسمت مزهوًا وسألتِني وقد لمحت دمعةً سعيدةً في عينيك:... أترقصين؟

أجبتكَ وأنا أهز كتفي: وأنا معك لا تسألني.....جذبتني في رفقٍ.. وتقدمتني إلى ساحة الرقص...وضعت كفكَ الحانية على ظهري....ربَّتَتْ

على ظهري في رقة....واحتويت كفي الأخرى في كفك....رفعتها إلى شفتيك لتقبلها...أيضا في امتنانٍ.
نظرت لعينيك وسألتك في حبٍّ: لماذا دومًا في امتنانٍ؟
هززت رأسك وأنت تجيبني: كل الامتنان لا يكفي لأشكر القدر الذي وهبكِ لي.
ثم نظرت حولك وأنت تهمس لي.. انظري حولكِ لتعرفي كم يحسدني الكثيرون.
نظرت حولي بدوري ومالبثت أن أطلقت صيحة دهشةٍ قصيرةٍ ودفنت رأسي بعدها بين ذراعيك ثوانيَ ورفعت عينين ذابتا من الخجل إليك قائلةً: لا أصدق ما يحدث لي معك.
أجبتني مزهوًا...بل صدقي...تستحقين ذلك وأكثر.
دمعت عيناي وأنا أسألك: وكيف أشكر أنا القدر الذي أرسلك لي لتنقذني من عالمٍ اغتربت بداخله أكثر عمري. ومن أناس لو كنت ظللت بينهم أكثر من ذلك لكانت تشوهت كل دواخلي...وتنهدت محاولةً اللحاق بدموعي كي لا تخدعني وتتساقط...وجئت أنتَ لتجعلني أرى نفسي بعيونٍ مختلفةٍ...جئت لتجعلني من جديد طفلةً في عمر الزهور.....مراهقةً تستشعر وهج المشاعر للمرة الأولى في حياتها....وخفضت عينيَّ لوهلةٍ ثم رفعتهما ناظرةً لعينيك مكملةً. .وأنثى لا حلم لها إلا أن تبقى باقي عمرها بين ذراعيك لتختفي وتذوب بين خلاياك.
ضحكت وأنا أهمس لك: أخبرك سرًّا؟..
هززت رأسك بعينين لا تعرفان إلا أن تحتوياني وهمست. .: .أتمنى ذلك.

رفعت عينيَّ إلى الأضواء في خجلٍ وأنا أقول لك في حبٍّ: أتعلم أنني منذ زمن وأنا أشعر كلما وقفت أمام المرآة لأتزين...ينتابني ذلك الشعور...أنني أتزين من أجلك أنت فقط....ستراني حتى ولو لم ترني. .وتنهدت وأنا أنظر إليك مجددًا ثم قلت: كان بداخلي يقينٌ أنك لن تتركني لتلتهمني العيون....وتنتهكني النفوس البشرية الضائعة...في كل مرة كنت أتزين وكأنني على موعد حبٍّ معك.

ابتسامةٌ أعشقها اعتلت شفتيك وأنت تنظر إليَّ عاجزًا عن الكلام...هززت رأسك وطبعت قبلةً ممتنةً على جبيني....رفعت على أثرها عينى ناظرةً إليك مجددًا وضحكت وأنا أقول في ارتباكٍ...لا تبعدني عن عينيك أبدًا. .أشعر بهما موطني...مرفأي الآمن....الذي بدونه لست أنا.

ضحكت وأنت تسألني ساخرًا.: مجنونٌ أنا كي أبعدك عن عينيَّ. .وماذا عن كل الذئاب الجائعة التي تكاد تلتهمك وأنت بين عينيَّ وذراعي؟ .

ضحكت بدوري وأنا أقول في خجلٍ: تشعرني بأنني ملكةٌ وأنا معك......ثم تنهدت وأنا أقول مجددًا في امتنانٍ: تحترم صمتي....تترجمني بدون أن أتكلم...تجعل من حزني قضيةً. .معك لا أحتاج لأن أبرر أي شيءٍ. .

ثم هززت رأسي وعاودت الغرق بين بحور عينيك.....تجيد احتوائي يا عمري...تجيد احتوائي لدرجةٍ تجعلني لا أفكر حتى في فك طلاسم ما بداخلي. .فقط إذا شعرت أنني تائهةٌ....ولا أفهم. .يكفي أن أرتمي بين ذراعيك لتفهم أنت وتردني إلى عالمٍ أنتمي إليه بداخلك....عالمٍ يُرَبِّتُ على جرح اغترابي بحنانٍ لم أعهده ونعومةٍ لم أحلم بها.....ثم دفنت

رأسي بين ذراعيك دامعةً...لا مكان لي في هذا العالم إلا بين ذراعيك...هنا موطني... ومرفأي... وملجأي...ورفعت عينين مختنقتين بالعبرات وأنا أقر حقيقةً تملؤني:...أتعلم؟ .يشرفني حقًّا أن أنتمي لرجلٍ مثلك...يا أجمل أحلام عمري. وسقطت دموعي فالتقطتها بأصابعك وأنت تقول في تأثرٍ: لا تبكي فدموعكِ أغلى من أن تسقط...لا تبكي فقد وجدت وطنًا يشرفه أن تنتمي أنت إليه......وجدت عاشقًا مزهوًا لا يسعد إلا بكِ ومن أجلكِ ومعكِ.

ابتسمت وأنا أنظر إليك في صمتٍ أعقبته بسؤالٍ:أَ تعلم ما أكثر ما أحب فيك؟...هززت رأسك متسائلًا فأجبتك في حبٍّ: لم تشعرني يومًا أنك تجردني من نفسي لتستأثر بالأنثى الناعمة الرابضة بداخلي رغم علمك التام أنها لا تنتظر غيرك ليقتحم عرشها الذي تمناك للأبد.

سألتني متهكمًا:أَ غبيٌّ أنا لأتعامى عن المتمردة التي جعلت لعالمى لونًا وطعمًا وقيمةً...والتي لولاها ماكنت استطعت رؤية تلك الناعمة التي تتحدثين عنها...علمت منذ رأيتكِ أنكِ تختلفين وأن أسهل طريقٍ لقلبكِ هو المرور على عقلكِ أولًا لإرضاء المتمردة الرائعة بداخلكِ......تلك المتمردة التي أنارت أيامي وأضاءت كل مصابيح عمري.

ثم بهدوءٍ سألتني: أتدرين ماذا سأفعل الآن؟

توقفت عن الرقص ونظرت إليك متوجسةً. .بينما ومن وسط دهشتى ووسط دهشة الحاضرين الذين التهموننا التهامًا بأعينهم...ركعت أنت على ساق واحدة وقبلت كفي قائلًا بصوتٍ عالٍ وبابتسامة ساحرةٍ ممتنةٍ: أتقبل متمردتي الانتماء لي طوال العمر؟

هززت رأسي وقد تركت لدموعي العَنان وعلقت أصابعي بأصابعك .ثم ركعت أمامك وأنا أقول وكالعادة في امتنانٍ:لا يشرفني في الدنيا شيءٌ أكثر من ذلك.....بدونك لست أنا...ومعك هي أنا التي أحبها وأفخر بها. .وأريد للعالم كله أن يراها....معك............وهززت كتفي في حيرةٍ..ثم قلت متهدجة الأنفاس.:

I feel like being at home .

ابتسمت وأنت تخفي رأسي بين ذراعيك بينما ذبت أنا بين جناحيك...وسط تصفيق كل الحاضرين من حولنا.

بيبا

اليوم سأحادثها....اتخذت قراري ولن أتراجع عنه....حتى لو رفضتني...فلن أندم...هي تستحق المحاولة. لماذا؟....لأنها لا تتكرر...من هي...هي ساحرتي الصغيرة.....بيبا.

رأيتها للمرة الأولى في الأسبوع الأول لانتقالي هنا...جذبتني منذ رأيتها بسحرها الأخاذ وهي تمارس طقسها اليومي المعتاد الذي رغم تكراره لكنك لا تَمَلُّهُ أو تَمَلُّها أبدًا....وهنا يكمن سرها....يوميًا وفي الثامنة صباحًا...تظهر مرتديةً سُترتها الرياضية الفاتحة اللون...وفي أذنيها سماعتان متصلتان بهاتفها الخلوي...تجري في خفةٍ وحيويةٍ يتطاير معها شعرها البني القصير ليجعلها تبدو كفراشةٍ تُحَلِّقُ في الفضاء....تحيطها هالةٌ من الغموض والجاذبية تجعلها في النهاية لا تُقَاوَمُ....فعلًا هي لا تُقَاوَمُ....منذ رأيتها وأنا أعشقها....منذ رأيت كيف يحبها كل من يعرفها وأنا أذوب فيها...كلما رأيتها و هي تحيي كل الجيران بودٍّ حميمي يومي آسرٍ....وجدتني أذوب فيها.

أراقبها يوميًّا وهي تتجه لبائعة الزهور المجاورة لتبتاع باقة زهور بيضاء اللون.....تحتضنها في حبٍّ...ثم تتجه بعدها محلقةً إلى موطنها...نعم هو موطنها...أقصد ال (book store cafe) الذي تمتلكه وتقضي كل عمرها بين أركانه.....وكأنها أعدته ليكون منزلها...وموطنها. .وكل ما لها في هذا العالم...وهو حقًّا مكانٌ ساحرٌ خلابٌ. .يأسرك أيضًا منذ اللحظة الأولى...وكيف لا يفعل وقد تركت بصماتها الذهبية على كل أركانه. سألت كثيرًا عنها...وكلما سألت. .وسمعت. .أزداد عشقًا لها.

كثيرًا ما كنت أراقبها وهي تتعامل مع رواد مقهاها من المراهقين وكأنها أحدهم ورغم ذلك تحافظ على تلك المساحة من الخصوصية التى تجعلهم يذوبون فيها عشقًا ولا يتجرءون عليها. .أراها معهم كالأطفال تطير. وتقفز مرحًا وتمزح في حيوية خلابة. .وفي ثوانٍ تتبدل لتكون أنثى كاملة النضج والجاذبية ورجاحة العقل مع رواد المقهى من كبار السن. .تباريهم في نقاشاتهم وقراءاتهم وآرائهم بدون تكلفٍ أو تصنعٍ. سمعت ذات مرةٍ وصفًا لها من أحد الباعة المجاورين الذين يرتادون مقهاها بأنها (بنت بلد وجدعة)....و وصفًا آخر من شاعرٍ يلقي الشعر في المقهى بأنها (ليدي وستايل).

تنهدت في حيرةٍ متسائلًا: من أي خليطٍ صُنِعَتْ هذه الساحرة إذن؟.. وأي تناقضاتٍ تجمع بين ثنايا شخصيتها المبهرة...بل وكيف تجعل من المكان موطنًا لكل رواده...وتتعامل مع الكل بأسلوبه على اختلاف شخوصهم وأعمارهم ومستوياتهم وثقافاتهم.....وفي النهاية الكل يعشقها...الكل يدمنها ويدمن سهراتها وصخب مقهاها الحاني...الدافئ مثلها.

كقطعة الشيكولاتة أراها...لا منتهية. .حقًّا هي لا منتهية...تترك خلفها شذى لا يزول من الذاكرة والوجدان....ليس لديَّ فقط...لدى كل من يعرفها بحقٍ...اليوم اتخذت قراري بالتحدث معها عن إعجابي وافتتاني بها...لا تهمني النتيجة...في كل الأحوال أعشقها.

اتخذت قراري وأنا شبه متأكدٍ من الرفض لكنَّها تستحق المحاولة...تساءلت كثيرًا قبل أن أتخذ القرار...كيف من الممكن أن تتخطى ساحرةٌ مثل هذه سن الثلاثين بدون ارتباطٍ...ولم أجد إجابةً

شافيةً سوى أنها تصد كل محاولات الارتباط بحزمٍ قاطعٍ....لماذا؟! لا أحد يعلم...وهكذا اتخذت قراري بالمحاولة....هي تستحق ألف محاولةٍ.
عبرت الطريق إلى مقهاها في لهفةٍ....ووقفت أمام الباب الزجاجي أراقبها وهي تتمايل في خفةٍ على النغمات المنبعثة داخل المقهى و ترتب المقاعد المتناثرة في هدوءٍ...خفق قلبي في لهفةٍ وهو يراها للمرة الأولى عن قرب.
.كم هي رائعةٌ حقًّا!
تنهدت وقد لمعت في عيني دمعة حبٍّ حائرةٌ...ومددت يدي أطرق الجرس الخارجي قبل أن أفتح الباب وأدلف للداخل.
نظرتْ إليَّ في ودٍّ آسرٍ وقالت مبتسمةً: زائرٌ جديدٌ...صباح الفل
ابتسمت دونًا عني وأنا أجيبها في ارتباكٍ وقد ازدادت خفقات قلبي المشتاق لهذا اللقاء منذ شهور...صباح النور. وتنهدت وأنا أحاول إخفاء انبهاري بها قائلًا...زائرٌ جديدٌ ولكن أيضًا قديمٌ.
ابتسمتْ في تساؤلٍ. .فبادرتها. .أقطن في البناية المقابلة...وأراكِ يوميًّا وأتفاعل مع صخب مقهاكِ وكأنني أحد رواده.
قالت وهي تدعونى للجلوس...أهلًا بكَ بكل تأكيدٍ...زائرًا جديدًا وقديمًا وبكل أحوالك...هنا فلتعتبر نفسك في موطنك....كن على راحتك تمامًا.
اتجهت إلى حيث أشارت إليَّ وجلست...وأخذت أتأملها عن قربٍ....بينما قالت وهي تمد كفها إليَّ...فلنتعارف أولًا....بيبا.
نهضت ومددت كفي لأحتوي كفها مصافحًا...مراد.
رفعت حاجبيها في إعجابٍ وهي تقول: الله...اسمٌ قديمٌ. .أعشق كل أسماء الرجال القديمة...أشعرها تفيض وقارًا...ثم ضحكت بمرحٍ وهي

تشير إلى أن أجلس قائلةً: تفضل...بم تودُّ أن تبدأ نهارك اليوم؟ لدينا كل ما تحب بكل تأكيدٍ.
سألتها وأنا أتأمل عينيها المتمردتين وابتسامتها المرحة الخلابة...ماذا تقترحين عليَّ؟..نظرت إلى السقف مفكرةً ثم قالت في مرح: أقترح عليك أن تتعايش مع اختياراتي...بما أنك جديدٌ...وأنا وأنت وحدنا بدون رواد آخرين...فلتترك لي إذن حرية أن أُعَرِّفُكَ على مقهاي...ثم استدركتْ وهى تهز رأسها وتغمز بعينها: كي أضمن أن تعود إلى هنا مرارًا. .مرارًا.
هززت رأسي مبتسمًا وأنا أقول: أوافق.
قالت في عذوبةٍ وهي تتجه لركن الطعام. .فليكن. .إليك البرنامج المقترح ولك حرية تغيير أي شيءٍ لا تحبه. هززت رأسي وأنا أذوب من فرط عذوبتها قائلًا في استسلامٍ: تفضلي.
قالت بنفس الابتسامة الخلابة.: أولًا...سنتناول طعام الإفطار معًا.....ما رأيك بالبيتزا مع الشاي؟
هززت رأسي قائلًا: أوافق....بينما أكملت هي متسائلةً: على نغماتٍ متنوعةٍ لفرانك سيناترا.
عقدت ذراعيَّ أمام صدري وأنا أتراجع في مقعدي للخلف مبتسمًا. .ثم تنهدت وأنا أهز رأسي قائلًا: أيضًا أوافق.
اتجهت لركن الكتب قائلةً: سأختار لك إذن كتابًا يسليك ريثما أنتهي من إعداد الأفطار.
تأملتها في صمتٍ وهي تبحث في مكتبتها عن كتاب أقرؤه...بينما كل دواخلي تلتهمها التهامًا...حقًّا. .أية ساحرةٍ أنت؟...وأي كتابٍ يستطيع أن يقنع عيني بالبقاء بين سطوره...تاركة تأملكِ. .؟

وجدتني أنهض دون أن أشعر وأتجه إليها متسائلًا: هل لي أن أطلب شيئًا؟

نظرت إليَّ مبتسمةً وقالت في ودٍّ زائدٍ: بكل تأكيدٍ...نظرت إلى عينيها العذبتين وأنا أسألها...هل بإمكاني أن أعد طعام الإفطار معك؟...لا أريد أن أقرأ شيئًا الآن.

صمتت متعجبةً لوهلةٍ...ثم أعادت الكتاب لموضعه وهي تهز كتفيها قائلةً في بساطةٍ: كما تحب....ثم اتجهت لتضبط مشغل الموسيقى على أغنيات فرانك سيناترا...وأشارت لي قائلةً: تفضل إلى مطبخي المتواضع.

سارت أمامي بحيويتها المعتادة وهي تقول: فلتتولَّ أنت إعداد الشاي ولتترك لي البيتزا.

أومأت برأسي قائلًا: بكل تأكيدٍ...اتجهنا معًا إلى المطبخ وبدأت هي في تحضير البيتزا بينما قمت بملء براد الشاي بالمياه ووضعه على الموقد ثم استدرت أتأملها وهي تعمل في حبٍّ...حقًّا حينما تتأملها تشعر أنها تحب حتى الأشياء التي تمسكها.....نعم يتخللك إحساس بأنها تعشق حتى أدوات مطبخها التي تعمل بها.

وجدتني أسألها بانبهاري الذي أصبح لصيقًا بي......تحبين هذا المكان كثيرًا....أليس كذلك؟...نظرت إليَّ بركن عينيها مبتسمةً وقالت وكأنها تقر حقيقةً: أعشقه....هنا أكون أنا...هنا هي أنا...بكل صدقها ووضوحها.

ابتسمتُ لكلماتها وأنا أسألها: منذ متى بدأتِ هذا النشاط؟....

أجابتني في هدوءٍ باسمٍ: خمس سنواتٍ تقريبًا....ثم استدركتْ بشرودٍ....ولكنها وكأنها العمر كله...نسيت كل عمري قبلها.

سألتها في شغفٍ: ماذا تقصدين؟

أجابتنى في هدوءٍ: أقصد أنني بدأت بها عمرًا جديدًا أصبح الآن هو كل عمري وماضيَّ...قبلها لا شيء يُذْكَرُ. ابتسمتُ متسائلًا: ولماذا؟....أجابتني: قلت لك. .لأنني هنا أكون أنا...هنا موطني الحقيقي..

- كل الناس هنا يحبونك.

مبتسمةً كالعادة أجابت: وأنا أذوب فيهم...لي قصة عشقٍ مع كل رواد هذا المقهى.....ابتسمت بدوري لتعبيرها ثم وجدتها فرصةً لفتح موضوعي فتساءلت: هل يمكن حقًّا أن تكون لك قصة عشقٍ مع كل هؤلاء البشر؟! نظرت إليَّ وقالت في غموضٍ: إذا تغاضينا عن المعنى التقليدي للعشق. .فنعم يمكن طبعًا.
سألتها بلهفة: وماذا عن المعنى التقليدي للعشق.
نظرت إلى نظرة خاطفة ثم تساءلتْ في هدوءٍ: تعني عشقى لشخصٍ واحدٍ ليكون حب عمري؟
هززت رأسي قائلًا: أليس هذا هو حلم كل فتاة؟
ابتسمت وهي تجيب: بكل تأكيدٍ....ثم توقفت عما تفعله ونظرت إليَّ قائلةً في لهجةٍ متلاعبةٍ...سأخبرك عن هذا إذا ما أخبرتني عن الهدف الحقيقي من زيارتك.
شعرت وكأنني وقعت في فخٍّ...ارتبكت ثم ما لبثت أن تنهدت وأنا أشير بذراعي قائلا: فليكن. .استسلم...أتيت لأخبرك حقًّا...كم. .كم أنا معجبٌ بكِ...لأنكِ حقًّا مميزةٌ.
ابتسمتْ وعاودتْ إكمال صنع البيتزا ثم قالت: أحترم صراحتك وجرأتك. .ولهذا سأتحدث معك بصراحة وبمنتهى الوضوح.

ثم تركت ما تفعل مرةً أخرى وهي تنظر إليَّ قائلةً في هُيامٍ:أستطيع أن أخبرك بصراحةٍ ووضوحٍ أيضًا أنني في حالة عشقٍ لا تنتهي...أحب رجلًا لا مثيل له...ولم أحلم يومًا بسواه...يسكنني...يذيبني...يسافر في دمي...ولن أكون أبدًا لغيره..

غَيْرةٌ شعرتها تطل من عينيَّ وأنا أسألها.: .ومن يكون؟

تنهدت وهي تعاود إكمال ما تفعله وشعرتها تتجنب النظر لعينيَّ اللتينِ تلتهمانِها التهامًا. .ثم قالت في هدوءٍ: يكفي أن تعرف أن هناك رجلًا ما يسكنني وكفى...لست ملكًا لأحدٍ آخرَ. .هو فقط. .

-ولكنه لا يظهر أبدًا

-قلت لك...يسكنني...يسافر في دمي...يسبح في عروقي .

تساءلت في حيرة: ولماذا لا تتزوجانِ؟

ابتسمت وقالت بالبساطة نفسها: لأنني مازلت أنتظره...لم يأت بعدُ .

هززت رأسي وأنا أسألها مستنكرًا: أَ مازالَ حلمًا؟

نظرت إليَّ بحدةٍ قائلةً:هو ليس حلمًا...هو موجود...حتى وإن تأخر أو ضل طريقه إليَّ...أعلم أنه سيأتي يومًا .

-لا أفهم شيئًا...تخلصين لذكرى...أم لحلم...

-هو ليس ذكرى...ولا حلمًا...هو واقعٌ بداخلي...هو واقع عمري وأيامي...ولن أكون لسواه .

-اسمحي لي هذا انتحارٌ .

كست وجهها جديةٌ للمرة الأولى أراها وقالت في حِدَّةٍ: لماذا انتحارٌ...ألأنني صادقةٌ مع نفسي أكون منتحرةً؟

قلت مهدئًا إياها قائلًا: آسف إذا كنت تسببت لك بأي ضيقٍ...ولكنني فقط لا أفهم .

تنهدت وقالت وهي تتجه لمنضدةٍ تتوسط المكان وتضع عليها البيتزا: فلتجلس إذن وتتناول إفطارك وسأشرح لك.

ثم اتجهت لتكمل إعداد الشاي بينما جلست أنا حيث أشارت...تأملتها وهي تكمل إعداد الشاى وقد اكتست ملامحها ببعض الألم.

قلت لها في ضيقٍ:...أعتذر حقًّا لو ضايقتك....هزت رأسها وهي تنظر إليَّ مبتسمةً: لستَ أول من يسأل. .ولستَ أول من يتعجب ويتهم...اعتدت ذلك...

ثم اتجهت نحوي وهي تمسك بفنجاني الشاي وجلست أمامي وهي تضعهما على المنضدة ثم نظرت إليَّ قائلةً في عذوبةٍ:

-هل أحببت من قبل؟

-بالتأكيد...ومن منا لم يفعل؟

-إذن ستفهم ما سأقوله .

ثم ترقرقت في عينيها دمعة قائلةً: أنا أحبه...حقًّا أحبه...أنتمي له...كنت أنا من أجله...فقط من أجله..كنت أنا التي تملأ الجو صخبًا وودًّا وحبًّا. .أيضًا من أجله.....سألتها مستنكرًا: كيف لشخص لم تريه ولم يوجد؟

قالت وكأنها تقر حقيقةً: أشعر بوجوده...ومهما طال الزمن...أشعره لن يضل طريقه إليَّ...سيأتي...لأنني لن أكون إلا له...أشعر به يراقب لحظاتي وينتظر فقط لحظةً مناسبةً ليظهر........من فرط صدقها وهي تتحدث أصابتني دهشةٌ شديدةٌ وقلت بدون أن أشعر...وماذا لو كان وهمًا؟

قالت في صدقٍ مضاعفٍ:يكفيني إحساسي بأنه موجود لأعيش مخلصةً له...صدقني أتعايش معه فى كل لحظات عمري

قلت مستنكرًا: ولماذا لا تمنحين نفسك الفرصة لتعيشي كباقي البشر؟ تحبين وتحبين...تستحقين ذلك. .صدقيني .

ابتسمت وهي تسألني: ومن قال لك إنني لا أعيش هذا فعلًا؟......قلت لك...أتعايش معه كل لحظات عمري وأيامي...أحبه ويحبني. .أعيش معه قصة عشق لا تنتهي .

ثم أكملت في هدوءٍ: صدقني متناغمةٌ أنا مع نفسي جدًّا في هذا الأمر لدرجةٍ أجبرتني ألا أضعف أمام أي رغبةٍ فى الارتباط .

سألتها غير مصدقٍ: لماذا؟

أجابتني بصدقها المبهر: كيف لي أن أظلم شخصًا آخر بارتباطٍ غير قائمٍ على الحب...لا أملك شيئًا أمنحه إياه...لا روحًا. .ولا جسدًا. .ولا حبًّا...قلت لك...أنا مِلكٌ لرجلٍ واحدٍ. .يسكن بداخلي منذ قديم الأزل .

-ولكنك تستحقين حياةً أفضل...

-صدقني أنا أعيش أجمل أيام عمري في هذا المكان...يكفيني صدقي مع نفسي ومع من حولي...يكفيني أن أعيش مرتاحة البال لأنني لا أقصر في حق أحدٍ...قل لي كيف بإمكاني أن أعيش حياة تقولون عنها طبيعيةٌ وأنا أسيرة هوى شخصٍ يسكنني ويعيش بداخلي أبد الدهر؟

تملكني فجأةً شعورٌ بالشفقة نحوها وأنا أسألها:وماذا عن الأمومة؟

ابتسمت وهي تقول بصدقها المعتاد: لن أكون الأم التي أحلم بها إلا لأطفالي منه...صدقني لا أحد يعرفني مثلما أفعل أنا...لا أستطيع أن

أظلم معي أطفالًا أبرياء لا ذنب لهم سوى أنهم أتَوْا إلى هذه الحياة وأنا أمهم.

وجدتني أهز رأسي غير مصدق وأنا أردد في خفوتٍ: قديسة أنت؟ !

ابتسمت وهي تهز رأسها نفيًا: لا تبالغ...فقط. .أنا صادقة مع نفسي للنهاية .

ثم مدت لي يدها بفنجان الشاي وهي تبتسم قائلةً: فلنتناول الإفطار...

حاولت أن أبتسم بدوري وأومأت برأسي تاركًا إياها تقوم بطقوس ضيافتي بينما تسللت لمسامعي موسيقى أغنية

unforgettableلفرانك سيناترا...تنهدت وأنا أشعر أنها ستطرق جراحًا مازالت تتكون بالفعل....نظرت لها وهي تذيب السكر في الشاي ثم ابتسمت قائلًا: أتعرفين أنك تشبهين السكر؟

ابتسمت وهي تنظر إليَّ نظرةً خاطفةً أعقبتها بتساؤلٍ دافئٍ: وكيف هذا؟

-تذوبين لتمنحي مَنْ حولك حلاوة الحياة. .ولكن بنكهتك أنت. .بطعمك. .وكأنك تذيبين الشيكولاتة في الشاي.....سيصبح حلوًا ولكن بطعم الشيكولاتة .

ضحكت وهي تسألني: سكر أم شيكولاتة؟

قلت لها بلهجةٍ حاولت ألا تظهر حسرتى فيها: كل ما هو حلو هو أنت .

نظرت إلى عينيَّ قائلةً فى جديةٍ: أنت رجلٌ رائعٌ يا مراد. .صدقني لو لم يكن بداخلي رجلٌ ما. .مؤكدٌ أنني كنت سأفسح لك المجال.......ثم استدركت قائلةً بابتسامةٍ حانيةٍ: ولكن هذا لا يمنع أن نصبح أصدقاء .

ابتسمت متنهدًا: يسعدني ذلك بشدة يا بيبا .

ارتشفت الشاي ببطءٍ وأنا أتأملها مبتسمًا...لكم هي جميلةٌ بسمتها....عيناها اللتانِ تفيضانِ عذوبةً. .تمردًا...عنادًا.. تخفي ما بداخلها من مشاعرَ..كل ما فيها جميلٌ....من يصدق أن هذه المرأة الجميلة...الغامضة...الساحرة...الأخاذة... وحيدةٌ إلى هذه الدرجة رغم كل من حولها من البشر....ووجدتني دون أن أشعر أتذكر كلماتٍ قرأتها يومًا ما...واستشعرتها حينها. . (وجع الانتظار أشبه بطفلة يتيمة...تنتظر عودة أبيها على حافَة البيت....الكل يعلم أنه لن يأتي...وهي ترفض أن تصدقهم)........شعرت برغبةٍ جارفةٍ في احتوائها...لم أملك حيالها إلا أن أسألها في شغفٍ: هل تسمحين لصديقٍ عزيزٍ أن يراقصك رقصة تعارفٍ هادئةً؟

ابتسمت وهي تتأملني في تعجبٍ وهزت رأسها قائلةً: .وعلى نغمات unforgettable..بالتأكيد لن أرفض يا مراد .

مددت يدي إليها...احتويت كفها وجذبتها إليَّ في رفقٍ...حاولت أن أحتويها بدون أن أشعرها بشغفي...لأنني صديقٌ...مجرد صديقٍ....لامرأةٍ...سأتذكرها دومًا كلما تذوقت الشيكولاتة. .لأنها امرأةٌ بنكهة الشيكولاتة...لأنها امرأةٌ تختلف...لأنها بيبا !

تانجو الكلمات

توقفت للحظةٍ حينما سمعت نداءه لي...ولكنني ما لبثت أن أسرعت مبتعدةً وأنا أدق الأرض بكعب حذائي في عنادٍ...سمعته يصرخ غاضبًا....أسرعت أكثر...سمعت خطواته تزداد سرعتها كي يلحق بي....فما لبثت أن زدت من سرعتي أنا الأخرى.. سمعته يعدو بأقصى سرعةٍ...جريت بدوري...ولكنه تقدمني...توقف أمامي وهو يلهث ومالبث أن أمسك ذراعيَّ في قوةٍ...وهو يسألني بعصبيةٍ: أنادى عليكِ....لماذا لا تتوقفين؟

نظرتُ له في تحدٍ....وقلتُ وأنا أُفْلِتُ ذراعيَّ من بين يديه: اترك ذراعي أولًا وتحدث بهدوءٍ.

اتسعت حدقتا عينيه وهو يصرخ غاضبًا:...أجيبيني ولا تشيري بأصبعك في وجهي.

هزرت كتفي وأنا أشيح بوجهي قائلةً في عنادٍ: ماذا تريد...؟

قال بصوت هادرٍ: ماذا أريد؟!.. لماذا لا تردينَ على اتصالاتي ورسائلي...؟

نظرتُ له وأنا أستفزه قائلةً ببرودٍ:...ألا تعرف كيف تتحدث بهدوءٍ؟

عاود إمساك ذراعيَّ وهو يقول بعصبيةٍ: أجيبيني.

عاودتُ جذب ذراعيِّ من بين أصابعه وسرت مبتعدةً عنه وأنا أقول: تعرف قواعد اللعبة لديَّ..لديك الإجابة لماذا تسأل؟

عاود اللحاق بي وساربجواري وهو يهدرغاضبًا: أي لعبةٍ؟

توقفت وأنا أعقد ذراعيَّ أمام صدري وقلت في عنادٍ:لا تتصنع البراءة من فضلك...(اول اور نون رول).

ثم عاودت السير من جديد بينما قال بعصبيته المعتادة وهو يلحق بي: وماذا إذا كنت بحاجةٍ لهدنة...؟؟

أكملت سيري وأجبته دون أن أنظر له: لا هدنة معي أنا....لن تستطيع حتى وإن حاولت..

أمسك بذراعي مرةً أخرى وقال هذه المرة في رجاءٍ: أرجوك توقفي ولنجلس لنتحدث بهدوءٍ.

نظرت لعينيه قائلةً في برودٍ: لديَّ مواعيدي.... لا وقت لديَّ للجلوس

صرخ فيَّ مرةً أخرى: ماذا تريدين إذن..؟.....أجبته ببرودٍ مستفزّ: اعتراف..

في استنكارٍ سألني: بماذا؟؟؟

قلت له في برودٍ قاتلٍ: بأنك أخطأت.

بمزيدٍ من الاستنكار سألني: فيمَ أخطأتُ؟؟؟

أجبته وقد تسرب لصوتي بعضٌ من الدلال المقصود: في الهدنة التي أخذتها.

أمسك رأسه بكلتا يديه وهو ينظر إلى السماء ثم زفر كمن لا حيلة له.....وهو يعاود النظر إليَّ قائلاً في

يأسٍ: صدقيني أنت إدمانٌ من الصعب الإقلاع عنه.

ابتسمت وأنا أقول له في كبرياء مصطنع: الإقلاع عني مضرٌّ بالصحة.

قال في هدوءٍ باسمٍ: ولهذا السبب كانت الهدنة.

- هدنة لديَّ تساوي إقلاعًا....ابتعادًا...هجرًا.

في يأسٍ سألني: من قال ذلك....؟؟ ثم استدرك بنعومةٍ يحاول بها أن يوقعني بها في شباك الاستسلام له: وحتى لو كان ذلك....ألا أملك الحق في فرصةٍ أخيرةٍ لاستعادة ما كان قبل أن نفترق .

- قلت لك...تعرف قواعدي..(all or non role)

- بمعنى...؟

- أنت ملكي..... معي... من أجلي... طوال الوقت ... كل العمر... أو...لا.... ولك حرية الاختيار.

- إنه الاستعباد إذن.

سألته مستنكرةً: حبي أنا استعباد..؟!..ابتسمت متهكمة وأنا أنظر للفضاء ثم عاودت النظر له مرةً أخرى

وأنا أقول في تمرد: ما أجمل الاستعبادَ حينما يكون معي....أنت لا تعرف ماذا تفوت على نفسك.

ابتسم وهو ينظر لي قائلًا في عذوبةٍ أعشقها:...وهنا تكمن المشكلة....أنني أعرف.

سألته بابتسامةٍ مستنكرةً: تعرف وتهادن...يالك من جبارٍ عتيدٍ.

ابتسم وهو يعدل من وضع كوفيتي الصوفية حول رقبتي قائلًا: الاستغراق في حبك يصيب المرء بالجنون صدقيني....

أمسكت بيديه وأنا أبعدها عني قائلةً في دلالٍ: لا أغير مبادئي يا حبي الوحيد وأقولها لك وأنت حبي الأثير

(All or non role).

هز رأسه وهو يقول في يأسٍ: مجنونةٌ.

قلت له مشاغبةً: وما الجديد....تعرف ذلك منذ زمن؟؟

تنهد وهو يلتهمني بعينيه قائلًا في حبٍّ:افتقدتكِ...وافتقدت متعة الجنون معكِ .

رفعت حاجبيَّ وأنا أسأله في مرحٍ: آآها...هل أعتبر هذا اعترافًا بالخطأ...؟

ابتسم وهو يسألني يائسًا: قولي لي إذن ماذا أفعل حينما أشعر أنني على وشك الجنون من عشقك وهواك.

أجبته في براءةٍ: الحل بسيط جدًّا.

سألني وهو يهز رأسه مصطنعًا البراءة:...وهو؟؟؟؟

- أن تستغرق فيَّ أكثر.

رفع رأسه إلى السماء متضرعًا وهو يقول يائسًا: لماذا يا إلهى أحببتها دونًا عن كل النساء...؟؟؟

رفعت يدي بدوري إلى السماء متضرعةً في تهكمٍ: مسكين... فلترحمه يا إلهي من هواها .

أسرع يمسك بيدي وهو يقول معاتبًا:..لا...لا أستطيع.. ثم أكمل بابتسامةٍ حائرةٍ:. قولي لي ماذا أفعل...؟ أريد أن أبتعد ولا أستطيع؛ لأنك جميلةٌ...فأريد أن أهادن ولا أستطيع لأنك أخاذة..فأعود لأستغرق فيك وأعاود إدمان جنونك فأعشق معك عالمي وأيامي وأحلامي....و....وكل شيء...أعشق كل شيءٍ لدرجة كره كل شيءٍ .

وأعقب مستنكرًا: ما هذا..جنونٌ؟؟

أجبته وأنا أقر حقيقة: هذا هو الحب....ومعي أنا...يزداد بهاءً... وعنفوانًا...وجنونًا .

ابتسم وهو يسألني قائلًا بعذوبته التي تذيبني: هل تسمح لى أميرتي إذن أن أعاود الاستغراق فيها من جديد....

ضحكت قائلةً وأنا أسير مبتعدةً: ترضخ لقواعدى أولًا .

ضحك وهو يضع يديه في جيبيْ معطفه متسائلًا:all or non role ؟؟

استدرت وأنا أهز رأسي في نعومةٍ: yess .

عقد كفيه وقال بصوت عالٍ كي أستطيع سماعه : أوافق يا مجنونة.

توقفت ونظرت إليه وأنا أقول في دلالٍ طفوليٍّ: فلتفكر إذن كيف ستعاود فتح أبواب معابدي مرةً أخرى ...لأنني غيرت كل الأقفال....

سألني مداعبًا: حقًّا...؟

أجبته مداعبةً بدوري: أجل.

أشار لي قائلًا من على البعد...: قبلت التحدي...فلتنتظري..الجنون قادم.

سألته في حبٍّ: الليلة؟

أجابنى في عشقٍ: الليلة.

ابتسمت وأنا أمنحه قبلةً عبر الهواء وأشرت له مودعةً تاركةً إياه يفكر....وأنا أنتظر...... وأخطط للمزيد والمزيد من الاستغراق....في متعة....الجنون...في الحب.

حينما يعشق عنتر أليس في بلاد العجائب!!!

وهاهو عقربي الحبيب يتم حركته الأخيرة قبل أن يعلن تمام الثانيةَ عشرةَ...أعلنها هو..... لأعلن أنا بداية مغامرتي العاشرة في الليلة الحادية والثلاثين بعد المائة....معك.

من أنا..؟..لست بشهرزاد...ولا بسندريلا..ولكنني فقط..متيمةٌ بك.....وفقط امتلئ بالمغامرة...وفقط أعشق جنوني معك.....وفقط أنت موطني ومرفأي وأمانيّ.

ارتديت ملابس اليوم...أنا اليوم بطلة أسطورية حكت عنها الأساطير يومًا ما....حملت ما اصطلحت على تسميته (عدة الجنان) وتسلقت نافذة غرفتي...كما أفعل يوميًّا....ثم حبيبتي شجرة الصفصاف وهبطت في سلامٍ إلى أرض الحديقة المغطاة بالعشب....أعدت حمل عدتي وتنسمت هواءً حرًّا كأعماقي البرية...وجريت..لم أنس تقبيل صوفيا وهابي...قطتي وأرنبي...وانطلقت...بثيابٍ كثياب الجواري....أحمل عدة جناني وأتنسم عبير ذاتي...وأحلم بك.

المدينة تغرق في سُباتٍ عميقٍ وأنا وأنت سنغرق في أحلامنا معًا....في عالمنا المجنون..الساحر الذي يلفنا بين طياته كل ليلة .

أتذكرك بتعبيرات وجهك المندهشة التي أعشقها..كل يوم وكل ليلة...وأنت تختبيء خلف ذات الشجرة....تنتظرني....وتحاول أن تتخيل من سأكون هذه الليلة.

أبتسم وأنا أتذكرك وأنت تفشل دومًا في كل توقعاتك..فترتدي الملابس الخطأ...لتكون أنت روميو...وأنا عبلة.....وأنت شهرزاد..وأنا سنووايت.

أبتسم أكثر وأنا أتذكر..كيف رغم الاختلافات الزمنية والتاريخية لما نرتديه...فإننا نُصِرُّ دومًا على أن تكون لنا قصةٌ خاصةٌ..ما الغريب في أن يحب روميو عبلة...وأن يعشق سندباد ماري أنطوانيت......الحب لا يعرف أعراقًا ولا بلدانًا ولا أزمانًا....لا مستحيل في الحب..ولا مستحيل يقف أمام جنوني...وجنونك...لا مستحيل وأنا معك....لا مستحيل وأنت تظلل أيامي...معك أفعل كل ما أريد وأحلم...معي أنا فقط من الممكن أن يحب عنتر أليس في بلاد العجائب...ومعك أنت كم يكون رائعًا أن يحب هرقل... سندريلا.

وصلت إلى شاطئ الأحلام...أحلامي وجنوني معك...سمعت صوت أنفاسك المتلهفة كالمعتاد....ولكنك لم تصيح هذه المرة في إحباطٍ....وإنما أطلقت صيحة انتصار مجلجلةً...لماذا..؟

لقد نجحت ولأول مرة في انتقاء الزي الصحيح.....خرجت وأنت تصيح في جذلٍ...وأخيرًا.

ابتسمت وأنا أعقد كتفي...أرى أنك أصبحت تجيد اللعب الآن. تقدمت نحوي واحتويتني وأنت تنظر لعيني قائلًا....من عاشر القوم.... إنها المغامرة العاشرة... والليلة الحادية والثلاثون بعد المائة...الليلة الحاديه والثلاثون بعد المائة لبداية مغامرتي الجميلة معك....الليلة الحادية والثلاثون بعد المائة لحبنا العاصف اللامنتهي.

ثم أمسكت وجهي بين يديك وأنت تقول في سحرٍ: وكيف ينتهي مع مجنونة لا حدود لشطحاتها مثلك...مع امرأةٍ تتجدد في اليوم الواحد مئات المرات....امرأةٍ تجعلني أبحر معها في كل الأزمان والعوالم...لأحبها كل يومٍ بشكلٍ مختلفٍ....بقصةٍ جديدةٍ وتحدٍ مختلفٍ.

قلت لك في تحدٍ....مازال في جَعْبتي الكثير... ابتسمت وأنت تقول بدورك...ومازلت أنتظر...وسأظل أنتظر...ولن أَمَلَّ من الانتظار..فلن يجود عليَّ القدر بعالم الأحلام كل ليلة...إلا معك.

رفعت حقيبتي وأنا أبتسم قائلةً في فرحةٍ طفوليةٍ...هيا إذن...المغامرة تنتظر.

أجبتني في حبٍّ....هيا....أخرجي ما في جَعْبتك... أخرجت البساط...ومن بعده المصباح.

ابتسمت...وابتسمت انت أيضًا...ثم قلت لي: ياسمينتي...ماذا عن الجني..؟؟

تربعت البساط....ودلكت المصباح..لأقذفه في فزعٍ وأنا أتقمص دور حبيبة علاء الدين في براعةٍ.....وأصيح في رعبٍ وأنا أشير خلفك....أنظر علاء الدين....ما هذا؟!

ابتسمت وأنا أُربِّتُ على شعرك كما لو كنت طفلتي المدللة.....واستدرت بدوري لأحميك خلفي...فمن الآن وحتى الصباح....أنا علاء الدين...وانتِ ياسمينتي....وهو.... جني المصباح طبعًا.... أما أنا فاحتضنتك في لهفةٍ .وتشبثت بملابسك كما يليق بياسمينة المذعورة من الجني طبعًا.....وتنهدت وأنا أخفي وجهي بين ضلوعك...وابتسمت وأنا أغمض عينيَّ....لكم أحبني وأنا معك...وكم أفتقد نفسي بدونك....وكم تحلو أيامي وأحلامي..فقط وأنا معك..لأنك أنت توءم روحي.....وحب عمري...والأجمل أنك نصف جنوني الذي لا أكتمل إلا به.

نورانية.. وكفى..

دارت دورتها الأخيرة...لتنهي رقصتها السماوية البديعة...فتنتهي معها كل قدرتى على المقاومة...

أي سحرٍ....وأي شغفٍ ملأني لأجدني مشدوهًا أتساءل..من هي؟!..هي المرة الرابعة التي أشاهد فيها الرقصة...وفي كل مرة...أجدني مشدوهًا...أتساءل..من هي؟! هي ليست فقط رقصة...هي إلى الصلاة أقرب...هي إلى التعبد في المحراب أدق... هي...شامخةٌ كراهبةٍ ثائرةٍ...تدافع عن مقدساتها. .بكل ما أوتيت من حياة وشرف.... هي.. ساحرةٌ..حرةٌ..بريةٌ..بارعةٌ في إيقاع القلوب.

تساءلت كثيرًا...وبعدها قررت أن أقتحم هالتها المقدسة.. عرَفت نفسي براغبٍ في البحث عن الحرية ... فابتسمت في جاذبية ... وغموض... ودعتني لقضاء يومٍ في مزرعتها الخاصة... وهناك..رأيت جانبًا آخر...وأنثى تختلف... حينما تهادت تخطو بخُيَلائها الأخاذ...بجوار فرستها البيضاء....ذهب قلبي بلا عودةٍ في تيهةٍ أبديةٍ..حتى أنني لم أعدْ أدري من الفرسة بينهما...؟؟؟ وحينما اقتربت مبتسمةً بوشاحها الأحمر...وقميصها ذي المربعات الصغيرة وسروالها الأسطوري الرجولي الطابع... توقف تنفسي لثوانٍ انبهارًا...ودمعت عيناي لوهلةٍ...هززت رأسي بعدها لأفيق على صوت...هو للإنشاد أقرب...على كلمات ملأى بالحبور.....وكفٌّ دقيقةٌ تمتد مرحبةً في ودٍّ...وبعدها...لم أعد أنا....ولم أعد..هنا.

هناك صرت..معها في بلاد العجائب...فقط لأن روحها العذبة تفيض من كل شبر بها....سرت معها أتصنع الاهتمام بالعاملين....بالمزروعات والمخلوقات...ولكنني كنت كالمسحور الذي أُغْلِقَتْ عليه كرتُهُ البللورية...أنا وهي وكل ما يتعلق بها وفقط...

في حقيقة الأمر...كنت أتأمل العمال....لأنها تحييهم أو تحدثهم...أو تنحني في بساطةٍ لتجلس معهم وتساعدهم....فأرى فيها جانبًا جديدًا لم أتخيل وجوده...وأرى فيهم حبًّا وتقديرًا ووَلَهًا بها....فأغوص في الهُوَّة أكثر.... كنت أتأمل كيف تحتوي زهور المحاصيل بأصابعها الدقيقة التي تجيد انتقاء الصالح من الفاسد...وأختلس نظرةً إلى عينيها الحالمتين العاشقتين لكل ما تفعل فأهوي إلى أعماقها...في بئرٍ بلا قرارٍ ... (عندما يأتي المساء)...مطلع إحدى أغنيات عبد الوهَّاب...تذكرته وأنا أجلس في المضيفة الخاصة بها....أجلس أنتظرها متأملًا المكان من حولي...أذوب في الجوى المنبعث من نغمات عُود نصير شمة...وأستمد الدفء من حطب المِدفأة المشتعل..واستسلم للخَدْر الذي يملؤني شيئًا فشيئًا في انتظار فاتنة قلبي الأثيرة... عندما أتى المساء...وهو مساءٌ ليس ككل الأمساء....أمسائي أو أمساء البشر...هي ليست كأي أمساءٍ أخرى على الإطلاق....هو مساء يختلف عن كل شيءٍ.

وحينما أتت النورانية... البهية..الجليلة....تأكدت أن مسائي سيختلف...أتت بهالتها المقدسة...بفستانها الأسود الفهدي النقوشات.....أتت لتنقلني لعالمها الساحر المليء بموسيقى تجوب بك عوالم ومدنًا..ومن مدنٍ لمدنٍ... تارةً فرنسيةً حالمةً ... وتارةً لاتينيةً صاخبةً ... وتارةً شرقيةً آسرةً ... وفي النهاية ... أنت مأخوذٌ.. مسحورٌ....

مشدوهٌ... تائهٌ في عبيرها وسحرها...ممتلئٌ تمامًا بتفاصيلها الفتاكة... وفي النهاية لا يسعك إلا أن تحبها....تمتلئ بها...تتنفسها وتتنسمها. .
تتأملها وهي ترقص..وكأنها تتعبد.. وهي تقرأ...وتحدثك في الأدب وكأنها أديبةٌ محنكةٌ...وهي تستمع وتحلل الموسيقى...وكأنها خُلِقَتْ لتتنسم النغمات كما تتنسم الحياة ذاتها... وحينما احتويتها بين ذراعيَّ أراقصها على نغمات فرنسية دافئة....تجرأت وطلبت رقصة نورانية من أجلي أنا وحدي.... ارتفع حاجباها في عجبٍ...وفي غموض أجابتني...تخطيت الحدود كثيرًا...واختصرت مسافاتٍ كُثْرًا....كان من الممكن أن تمنحنا العمر كله بهاءً نحيا على ذكراه... وأردفت بيقينٍ خلَّابٍ....مازال أمامك الكثير لتفعله...بعدها من الممكن أن تكرر ما طلبت..
(تمنحنا العمر كله بهاءً نحيا على ذكراه..)
وكم كانت على حقٍّ...وكم عشت معها بهاءً وشغفًا وسحرًا لا يُقَاوَمُ......وكم جعلتني أزداد إيمانًا بأن عشق الروح هو الأبقى على الدوام.......وكم كانت جديرةً بعشق الروح...هي روحٌ نورانيةٌ...ونفحةٌ ربانيةٌ...وإن لم تكن هي..فمن يكن..؟؟
..وفي ذلك المساء المتخم بالشغف...حينما أخبرتني مساعدتي أن هناك مريضةً واحدةً قد حجزت جلساتي النفسية لليوم التالي كله.......ابتسمت..ولم أتعجب ..
وأتتني بهالتها المقدسة الدافئة....مقتحمةً برودة حجرة مكتبي...فأحالتها لكوكبٍ دُرِيٍّ دافئٍ......اخترقتني ببهائها الأخاذ...وجاءت لتنقلني معها لعالم الأساطير... أتت بحقيبتها الكبيرة المليئة بالأسرار والعجائب.... وتحولت في لحظاتٍ من الزمن إلى كل ما يكسر قيود الزمن...ارتدت

عباءتها السحرية المحببة إلى قلبي......ومارست طقوسها وصلواتها على جدران روحي.....وعلى أضواء الشموع...ونغماتٍ شرقيةٍ آسرةٌ...اقتربت مني وأسرتني بعينيها قبل صوتها قائلةً:...هلَّا تُكررُ طلبك القديم الآن..؟؟
قبَّلتُ جبينها وابتسمت وأنا أسألها..هل لي أن أطمع في المزيد..!!
..ضحكت وقالت في سحرٍ...فلتبدأ بالقديم، والجديد آتٍ لا محالة...
احتويت كفيها...وطبعت عليهما قبلةً دافئةً وأنا أسألها مبتسمًا..: هل هناك المزيد من الكثير الذي يُفْعَلُ ليزيد العمر بهاءً على بهاءٍ معك يا أميرتى !
ضحكت وهي تقترب لتطبع قبلةً عميقةً على شفتيَّ...ثم قالت وهي تتحسس بأصابعها لحيتي المحببة إلى قلبها قبل قلبي ...
_هناك المزيد ....
_تستحقين الكثير..
بابتسامةٍ دافئةٍ آسرةٍ تساءلت....ثم؟
التهمتها بعينيَّ قبل شفتيَّ وأنا أردد في حب...أنت لي منذ قديم الأزل... آمنت بك إلى حدِّ اليقين....مثلما آمنت يومًا بذاتى...كان لا بدَّ من نورانيةٍ مثلك...تأتي لتمنحني من نفحاتها ما ينير طريق قلبي ودربي...كان لا بدَّ من هذا البهاء ليمنحني فوق العمر...عمرًا آخر أحيا على ذكراه....كان لا بدَّ منك....لأكون أنا...أنا.....فأنت لي منذ قديم الأزل .
اتسعت عيناها وهي تقول في دلالٍ يمتليء بالشغف..ولكن .مازال أمامك الكثير لتفعله يا عمري لأكون لك..
تحسست شعرها بأصابعي وقلت وقد سَرَتْ إليَّ عدوى الشغف: سأنتظر...مرغمًا غير مكرهٍ...مجبرٍ ولكنْ ممتلئًا بالامتنان وغاية

الرضا...فمن يكره المزيد من البهاءات مع ساحرةٍ... أثيرةٍ...تنير القلب والدرب مثلك يا نورانيتي...سأنتظر.لأنني عشقتك...ولأنه لا سلطان لنا على قلوبنا حينما تكون المحبوبة...هي نفحةٌ ربانيةٌ كونيةٌ قدريةٌ...مثلك...حينما تكون المعشوقة. .هي أنت..أنتِ وفقط.

أتحبينه؟

لم أجب......بحثت كثيرًا عن إجابة ولم أصل........لم أفكر أبدًا في طبيعة العلاقة التي تربطني به.

لقد ظهر في حياتي منذ أمدٍ بعيدٍ..منذ بدأت أخطو أولى خطواتي في فن الباليه..........ودومًا ما تلوح لي هذه البدايات في الأفُق كحلم صيفٍ جميلٍ..........الطفلة الصغيرة ذات الأعوام السبعة التي تتوق لكسر لغزٍ حيرها كثيرًا....فرغم سنوات عمرها البسيطة فإنها كانت تمتلك من سمو المشاعر ما يجعلها تعشق الباليه دون غيره من الفنون وما يجعلها أيضًا تعشق البيانو عشقًا لا حدود له وتحلم بأن تطير يومًا على نغماته.

أما هو فكان كلَّ ما هو مستحيلٌ بالنسبة لها..في البداية كان ذلك الشاب عازف البيانو....ذو الأعوام الثلاثين ثم أصبح لغزًا لا تستطيع فك شفراته.............فأصبحت تقضي الساعات إلى جواره ترقبه وهو يجري بأنامله الدقيقة على أصابع البيانو..........وترتسم ملامح الانبهار على وجهها الطفولي البريء......وتبدأ -دون أن تشعر -في الاستجابة لنداءات نغماته...فتقفز....وترقص..وتبدع ثم تطير.........وتسمو بفنها إلى عَنان السماء..

وتمر السنوات..........وتنمو مع الأيام والسنوات تلك الرابطة الخفية التي جمعتهما.....ومازالت تقضي الساعات إلى جواره ترقبه...وتظهر علامات الانبهار على وجهها الملائكي النضر......فتتجمع دموعٌ حائرةٌ في قرار عينيها...ومع كل دمعةٍ جديدةٍ تزداد عشقًا لإبداع هذا الرجل

وبدورها تبدأ في إبداعها الخاص......... فتطير من جديدٍ على نغمات مشاعره.

لم تحاول يومًا أن تفسر سر تعلقها بهذا الرجل..........فهو بالنسبة لها لغزٌ يكمن سحره في غموضه....في سمو مشاعره...........في إبداعه الذى لم تستطع أن تجد له حدودًا......دموع عينيه التي كانت تنساب دون توقف كلما امتزجت مشاعره وإبداعه- جعلتها تتعلم كيف بدورها تصل لأقصى درجات الإبداع وسمو الروح.

تعلمت منه الكثير.وأحبت فيه كل شيءٍ...كانت تعشق كل ما يقوم به.. احتل لديها مكانةً لم يسبق أن احتلها أحدٌ...قلبها المراهق حاول تفسير ذلك بأنه الحب... ولكنها رفضت....حتى الحب لا يعبر عن طبيعة تلك العلاقة ولايفسر سر تعلقها به..........وظل هو لديها كل شيءٍ.....الإبداع..السمو.....المثالية بغير حدود.

وها أنا وبعد أن نضجت مشاعري....وأصبحت في الثلاثين لم يتغير في علاقتي به شيءٌ.....مازلت أعشق إبداعه لدرجة التقديس...أحبه ولم أعدْ أفكرُ في إيجاد تفسيرٍ لحبي له....فأنا أحبه كمبدعٍ...كأبٍ...كأخٍ....كحبيبٍ..فاق في نظري كل شيءٍ...ومازلت حتى الآن كلما سُئِلْتُ أتحبينه......أعجزعن الإجابة.....فقط أعجز عن الإجابة.

أعلى كل النساء

وكعادتي..منذ بدأت أحلم بك...كان لقاؤنا اليوم..في ذاك المقهى الباريسي الدافئ.....قاطعت شرودي في عَبَق نغماتٍ فرنسية يحملها صوت(إديث باف) الخلاب.....نظرت لك حينما اقتحمت خلوتي في

بساطةٍ...وجلست أمامى...بدون أن تتحدث...نظرت لك مستنكرةً... قابلت نظرتي بابتسامةٍ هادئةٍ...ساحرةٍ....

سألتك وأنا أحاول منع ابتسامةٍ تكاد تغافلني لترتسم على شفتيَّ إعجابًا بجرأتك.....هل أعرفك؟؟

بثقةٍ أجبتني: أكيد...

سألتك في شغفٍ: حقًّا..؟

أجبتني بثقةٍ: منذ أعوامٍ...أنت تعلمين جيدًا..كم عددها....

دمعت عيناي وأنا أسألك مرةً أخرى: حقًّا؟

ابتسمت في عذوبةٍ قائلًا: أأسرد لكِ أسرارنا الصغيرة...أم لحظات الشغف التي تقاسمناها معًا.. .كي تصدقي...

في عجبٍ هززت رأسي..وأنا أسألك للمرة الثالثة...حقًّا..؟

هذه المرة استغرقت فى الضحك وانت تجيبنى: حقا..؟؟

وتنهدت وأنت تبتسم مسترسلًا في شغفٍ ساحرٍ: بماذا نبدأ يا مليكتي الأثيرة؟؟....هل أعدد لك كل الكتب التي قرأنا وناقشنا على هذه المنضدة...أم أستجدي ذاك البيانو لينطق ويخبركِ...كم سحرته وأسرتني نغماتك الساحرة عشرات المرات....أم أفكر في تغيير اسطوانة (إديث باف) كي تلكزيني بكفك كالأطفال في كتفي.....وماذا أحكي لكِ عن مغامراتنا في دروس التانجو هاهنا.....أم أسأل سيمون النادل أمامك..عن طقوسك الخاصة في صنع ال ...french toast إذا ما أساءوا صنعه..أتعلمين أن سيمون نفسه أدمن تناوله من يديكِ بعد أن رأى كيف تمنحينه من سحرك. .ما يخلب لُبَّ كل من يتذوقه.

.واقتربت مني بوجهك. .وأنت تسألني: وأَ تذكرين يوم ابتلت ملابسك من المطر...فطلبت مني أن نتقاسم ملابسي حتى تجف ملابسك..فارتديتِ قميصي ومعطفي. .واكتفيت أنا بال (بولوفر) لأستمد باقي الدفء منك. ابتسمت في خفةٍ..ممتزجةٍ بحنين آسر...وأنا أتأمله في انبهارٍ...بينما واصل هو: أتعلمين. .ما السر..؟؟

في عشقٍ ابتسمت...ودون أن أتكلم تناولت أنت كفي المنبسطة على المائدة..ونهضت جاذبًا إياي نحو ساحة الرقص في سحرٍ يلفنا...وبدأت تراقصني....بدأت تضمني إليك في شغفٍ....وتطلقني في الفضاء بالشغف نفسه.......بدأت معك أدور وأدور....فأُسْقِطُ عن روحي الممزقة أوجاعَها. .وأعود فأرتد إلى حِضنك الدافئ ليغمرني وجودك العاصف....

دمعت عيناي من فرط انبهاري وأنا أسألك في عشقٍ...ما السر..؟؟

نظرت إليَّ وابتسمت ابتسامتك الساحرة وأنت تقول في انبهارٍ: إنكِ أنتِ..أنتِ....أنتِ دون كل النساء من أذقتني الحياة بطعم التانجو.....أنتِ من عشت معها شغفًا يفوق أحلامي وعمري وأيامي....

ثم رفعت كفي لتطبع قبلةً دافئةً عليه وأنت تنظر إليَّ قائلًا في عشقٍ: أيكفي أن أقول أنكِ....أجمل نساء الدنيا.....حتى وإن سكنتك حلمًا....وانتظرتكِ يقينًا...فستظلين أجمل..أبهى...أشهى..أعلى.....من كل النساء...ستظلين في حياتي..عهدًا...قانونًا...خطًّا أحمر.......وسأظل لكِ...مراد القلب والعقل..وكل الروح..

الفرسة البرية الشامخة

لكل منا حكايته مع الحلم....وأنت كنت نبؤتي التي تحققت....ذات يومٍ...طالعت عيناي كلمات إحدى رواياتك....استوقفتني تلك العبارة....(ثم دخلت انت...جئت فجعلت كل الأوقات تناسب استقبالك...)

ورفعت عيني...لأجدك....حرةً كما تمنيتك...وجئت...فجعلت الزمان وكل الأزمنة مناسبة...لاستقبالك....جئت بحضورك الذي حبس أنفاس الحضور...ظهرت ثائرةً...بأنفك الشامخ. .وجبينك العالي...وشعرك البني المتمرد على قوانين الطبيعة.....بدوتِ وكأنكِ المتمردة الأثيرة التي هربت من قصرها...لتعيش وسط العامة أمثالنا....جئت...فلم تعد حياتي الآتية مثل حياتى السابقة...وأصبحت محور الكون...وكل أكواني..جئت فخبرت نوعًا جديدًا من النساء.....يختلف.....جئت بكنزتك الصوفية...وبنطالك القصير....بقلمك ودفتر كلماتك...بموسيقى لا تفارق أذنيك الناعمتين...بطفولتك الخلابة...برقصاتك الضاحكة تحت المطر...بقفزاتك البريئة على شرائط القطارات....بكل عاداتك وتفصيلاتك التي هي على غرابتها محببةٌ...بهالتك المغناطيسية الآسرة...بكينونتك القاطعة الساحرة...

...جئت فاقتحمت عالمي بنعومةٍ مهرةٍ..فنهضت من مكاني لتجرفني تيارات بهائك...جئت لتعبري بي الطريق إلى عالمك الخاص....فأتنفس بارتياح....وأعرف معك نكهاتٍ أخرى لكل الأشياء...لكل المشاعر...للمواقف..والخبرات....

قلت لى يومًا بعينين يملؤهما تحدٍ آسرٌ: أتراهنني. .أنك ستغير كل قناعاتك في الحياة بعد أن تعرفني....

ابتسمت وأجبتك..وأنا أقر حقيقةً تملؤني: أتعلمين....مهما دارت علينا الدنيا...تظل دومًا هناك بقعةٌ بيضاء...وسط الأسود الداكن..تلك البقعة...هي أنتِ حبيبتى..أنتِ ومن هنَّ مثلك..على قلتهنَّ...يجعلن الوجود...جمالًا يستحق أن نحياه...

لكل منا حكايته مع الحلم....وقد حلمت يومًا...وتحققت نبوءتي...الفرسة البرية الشامخة...التي منحها لي القدر....فتبدل كل شيءٍ.....وأضحت حياتي معها... هي توغلٌ في تفاصيل..مِلؤها الشغف

حكاية بلا عنوان

قالوا عني امرأةٌ بلا هُوية... وصموني بأنني أحيا بلا ضوابط... نعتوني بالعزباء... وأن مآلي إلى الهلاك وحدي لا محالة.. قالوا وحيدةٌ بلا ظل ولا جذور.. قالوا أنفها في السماء ونهايتها يومًا وبلا شك.. للانكسار.. قالوا نمرودةٌ وما من رجلٍ على الأرض يستطيع كبح جماحها... قالوا وقالوا... وقالوا... فقط يقولون ولكنهم حقًّا لا يدركون...

أجل.. أنا امرأةٌ.. ولكن هويتي نفسي.. وضوابطي هي حقي وحدودي أنا وحدي... نعم عزباء... ولكن من قال أن غير العزباء من غير الممكن ألا تنتهي وحيدةً... أجل أنفي في السماء.. ولكن لأنني أستحق أن أكون أنا شخصيًّا في السماء.... ربما أكون نمرودةً.. ولكنهم حتمًا مخطئون.. فالنمرودة لا تنتظر رجلًا ليكبح جماحها.. ومن يكبح جماح الأنثى ليس رجلًا من الأساس.

نعم... أنا النمرودة التي عنها تتحدثون... لا تنتظر إلا أجمل رجال الأرض ليصنع بهجة أيامها وأحلامها... ولهذا كنت أنتظر.. وأسمع ما يقولون نافضةً عن نفسي كل الألم... حالمةً بأنى في النهاية وحتمًا.. سأجد صانع بهجتي الخاصة...ونكبتهم الآتية .

كنت أعلم أنني أستحق أجمل وأبهى رجال الأرض، ولهذا كنت أنتظره.. كنت أؤمن بأنني لا محالة سأنتمي إليه.. تعايشت وعشت وامتزجت بطيفه الحاني مرارًا ويوميًّا وعلى مدار عمري كله...فآمنت أنني سأدركه من اللحظة الأولى.. وأنه آتٍ.. وبلا شكٍ آتٍ.. الرجل الوحيد الذي ملك روحي.. وما كنت أنا إلا من أجله.. هو.. فقط..

وحينما رأيته يعزف مقطوعته الموسيقية الساحرة بدار الأوبرا.. دمعت عيناي.. استغرقت في تفاصيله المبهرة.. وكيف يتحرك في العزف بين آلتين بمنتهى الخفة.. ليحيي الحضور كلهم بعذب ألحانه... فتلتهب كل

الأكف بالتصفيق.. وتلمع كل الأعين دامعةً من فرط الانبهار والتحليق في السماء... آمنت بأن هذا الرجل هو صانع بهجة عمري وأيامي... وكأن بيننا عهدًا وميثاقًا غير معلنٍ.. كان ينتظر فقط لقاءً صامتًا بالأعين.. موثقًا بابتساماتٍ متوهجةٍ..مذيلًا بتوقيع دمعتين لمعتا فحركتا كفين ما عاد يفارقهما الأمان للحظةٍ منذ انكتب العهد...

حبيبي.. وصانع بهجتي.. محبتي.. يا أبهى رجال الكون.. أصلي لله ليلَ نهارَ على وجودك العامر في حياتي...أنت مرآتي وعنواني وكياني.. فليقولوا ما يقولون ولتعبث بهم أفكارهم أبد الدهر.. من يهتم..؟ فأنت حبيبي وسندي ورفيق دربي وروحي أبد الدهر..

انتظرت طويلًا ممنيةً نفسي بشغفٍ يفوق الأحلام.. وقد كان.. عشت معك في أحلامي وتمنيتك في أيامى وقد كنت... فلندعهم يقولون ما يقولون.. ولنلتفت نحن لما ينتظرنا معًا من أمجادٍ.. فلقاؤنا لم يكن لقاءً عابرًا... نحن كَوْنانِ امتزجا ليصنعا من العالم جمالًا يجب أن يحياه كل من ينبض بقلبٍ صادقٍ في هذه الحياة.. أنا وأنت قصةٌ بلا عنوان.. قصةٌ جديرةٌ بأحلامي وبك.. وما أنا إلا موسيقى تليق بسحر رقصتك على إيقاع الحياة.. ومازال القدريخبرني كل يومٍ أننا لم نكن أبدًا محض مصادفةٍ.. مازال يهمس في أذني أن ذاك اليوم كان وسيظل قدرنا المجنون الأبهى ... مازال يمنحني من إشاراته ما يخبرني في كل وقت أنني وأنت.. كنا ... وسنظل ... وسنكون دومًا .. قصةً لا تشبه أحدًا. . وحكايةً... بلا عنوان.

إصدارات الدار





للأطفال وبس
شمس بين الضباب
ألعاب خطرة
حسام الشحات
وشم ناصع البياض
رواية
أحمد حسن خالد
تانجو
محمد حموده
حواديت بوابة السعادة
أخي أكرم
حسام الشحات
محمد حمودة
المصنع
اللعب تحت السرير
رواية
د. محمد الشحات


للنشر و التوزيع